



باريس يطرح هيلين لظلام

هيلين قاتنة مسرودة

لأجلها قامت أول حرب بين المشرق والغرب

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدق

منذ أكثر من ثلاثين قرناً من الزمان، طلع على الدنيا من أرض يونان، المثال الأعلى للجمال في صورة انسان - وكان هذا

الانسان : هيلين

أنها « هيلين » ابنة ملك امبرطه « تينداريوس » من زوجته المستنانه ليدا، وكانت الصبية اليونانية من الجمال بحيث زعم اليونان في خرافاتهم أن امها حملت فيها من كبير آلهتهم « زوس » نفسه ، حين زارها في شكل طائر رائع ، من جنس البجع الطويل العنق الابيض الناصع في بلاد ملك امبرطه اليوناني

ذاعت شهرة جمال هيلين في أنحاء بلاد الاغريق ، فلم يبق أمير من أمرائها الا تطلع الى زواجها - فأخذوا يتوافدون على أبيها ، وفيهم من غلب

الابطال ببراعته في الحرب وشجاعته ، ومن فاق الاقران بقوة يأسه ووفائه
 يتيته ، ومن اشتهر بطاقل غناه وثروته ، ومن زانه رونق صبا ووسامته
 والكل تجدوهم فكرة واحدة ، وتستحوذ عليهم رغبة واحدة : الظفر بملكة
 ذلك الجمال النادر المثال . وكان الشيخ ملك اسبرطة يطاولهم ويماطلهم ،
 حتى أخذ يضيق صدرهم وينفذ صبرهم يوما بعد يوم ، وصرى التذمر
 بينهم ، وظهر التحمل منهم ، واوشك أن يستبد بهم المسخط وتتفجر
 حراجل غضبهم !

ولقد تنبه « عوليس » ملك جزيرة اتاكا الى خطر الموقف ، وكان انفذ
 أمراء الاغريق فطنة ، وأبرعهم رأيا ، وأمرهم تديرا . فاشتق على الملك
 الشيخ . فقصده وأسر اليه :

— يا عامل اسبرطة العظيم ! ستحدث خطوب في بلاطك الكريم ، اذا
 أنت لم تعجل باعلان قرارك في شأن زواج ابنتك هيلين . ان الخاطبين
 في قلبي يزداد يوما بعد يوم ، وأنت أعرف بطباعهم من أن تتوقع صبرهم
 على هذه الحال

قصة غادة اسبرطة . بغضاء هيفاء
 شعرها الذهبي بلون الشمس ، وعيناها
 التجلاوان لهما ذرقة البحر ، ولد الرغ
 قوامها في قالب من الجمال لا يضارعه جمال

— أنت على الحق ، يا عوليس الحكيم ! ولكن ما الحيلة ؟ لو أنهم في مثل
 حكمتك ورجاحة عقلك ، ما ترددت في اعلان قرارى . ولكني مشفق ان
 أنا أعلنت اختيار أحدهم زوجا لهيلين ، أن أتو عليه حسد الآخرين
 وينشب النزاع ، وتحل بنا كوارثه أجمعين . فهل ترى لى من ذلك مخرجا
 يا عوليس !

— من أجل هذا توخيت لقاؤك ، فإن عندي لك المخرج ، وهو غاية في
 البساطة والبسر

— أحقا تقول ؟ هات إذن ، يا عوليس الحكيم ! وسأكون طوال العصر
 شاكرا معروفا ذاكرا لك حسن سميك

— يا ملك اسبرطة ! هذه نصيحتي اليك :

واقترب عوليس من الملك الشيخ ، وحسب في أذنه ما ارتآه من الرأي
 وأخلت تنبسط من الشيخ الهوم غصون وجهه وتبرق أساريه . وما
 انتهى عوليس من همسه حتى كان محيا الملك يطلق بشرا ، وكاد يحل
 تمسكه ورغم شيخوخته يطير فرحا . واستأذن بعدها عوليس وانصرف ،
 والملك يردد : « شكرا يا صديقى ، شكرا ! أرى اليونانيين لم يكونوا

مبالغين ، حين قالوا انك خير الناصحين ،
ودعا الملك رسله فاتفقهم الى امراء يونان يعلمونهم ان الملك قد اتخذ
قراره في شأن زواج ابنته هيلين ، ويدعوهم الى موعد الاجتماع في قصره
لاعلانهم بالقرار

وفي الموعد المضروب ، اجتمع في قاعة العرش في القصر الملكي بأسبرطه
طالبو الزواج من هيلين وهم خلق كثير ، كلهم من بيت ملك كبير ، وكانوا
من عظم الرغبة وفرط اللهفة بتسواء لون فيما بينهم اذا كان قد لما الى
بعضهم علم ما انتهى اليه قرار الملك تينداريوس ، فلم يشف أحد غليلهم ،
بيد انه لم يطل انتظارهم ، اذ طلع عليهم الملك الشيخ وعنه ابنته هيلين ،
بيضاء هيفاء ، شعرها الذهبي بلون الشمس ، وعيناها النجلاوان لهما
زرقة البحر ، وقد افرخ قوامها في قالب من الجمال لا يضارعه بين نساء
العالمين جمال ، واستوى الشيخ على عرشه وهي الى جانبه ، ثم تكلم فحيا
الامراء الواقفين اطيب تحية ورحب بهم ، ثم قال :

— سأختار اليوم من بينكم ، يا امراء يونان ، زوج ابنتي ، ولكني
اطالبكم قبلها ان تؤدوا البين بين يدي
فتصايحوا :

— اية يمين يا ملك اسبرطه ؟ ومن منا تريد على أداء هذه اليمين ؟
— اريدنا منكم اجمعين ، اريدكم على القسم بأغلظ الايمان ، ان لا يكون
زواج هيلين مثارا بينكم للشجاسد والاضغان ، وان تؤيدوا حق الزوج الذي
سيختار منكم ايا كان ، وان ترعوا حرمة هذا القران ، وتدفعوا عنه كل
عنوان

ولما لم يكن من الامراء واحد الا وهو كبير الامل في ان يكون ذلك الزوج
المحظوظ ، فقد هتفوا بصوت واحد : « فلنقسم »
وهنا امر الملك الشيخ ، فجاء بالملآن والجديان ، ثم قدمت اقتراح
النبيذ للامراء الشبان ، وعندها ارتفع صلبوت الملك وهو قائم يبتهل :
« نشهدك يا رب الارباب ، وانت ايتها الالهة المنقمة من الحاشين نشهدكم
اجمعين على هذا القسم العظيم »

وتلا ملك اسبرطه القسم ، وردده الامراء من بعده :

« نقسم بأغلظ الايمان ، ان تؤيد حق الزوج الذي سيختار منا ايا كان ،
وان ترعى حرمة هذا القران ، وتدفع عنه كل عنوان »

وكان لاصواتهم — وهم يرددون القسم في قاعة العرش — دوى عظيم
ونان ، ترددت اصداؤه وتجاوبت بها الجدران

وعلى اثر ذلك نحرث الاغتنام ، وشرب الامراء الشبان جرعة من اقتراحهم ،
ثم امرتوا ما بقي على ارض المكان ، وهم يرددون في صوت واحد : « هكذا
فليهدر دمه ، من حنت بقسمه »



هيلين على اسوار شروانة ... ويظهر على ملائكتها العزن السيل

وبعدنا ، ساد السكون وثقلت وطائنه على هذا الجمع من المحبين ، وهم
سكوت يتطلعون الى الملك الشيخ ، وقد تطلعت ابصارهم وقلوبهم بشغفه
واخيرا قال :

— ايها الامراء ! انكم جميعا من شرف القدر ، وكرم العنصر ، وعلو
الهمة والشجاعة ، بحيث يشق على المفاضلة بينكم ، واختيار واحد منكم
اكون به اعجب مني بغيره . فانا من اجل هذا ، ادع الحيار لك يا هيلين
فاختاري زوجا من كوين

ولما اتم الملك تينداريوس مقاله ، رفعت هيلين ، الغائنة هامتها
الذهبية ، واجالت عينيها بزرقتها اللازوردية في صفوف خطايها الامراء
وهم قائمون تجاهها ، يتابعون لحاظها كمن يتابع من الشمس المنقلة

شعاعها ، وكلهم ينتظر ما سوف تنفجر عنه شفاعها
وبدت على هيلين الحيرة ، فأعادت الكرة ، وودت الطرف ثانية وثالثة
في صفوف الامراء ، فكان في ذلك التكرار زيادة من حيوتها في الاختيار .
وأخيرا وقفت ينظرها الحائر عند أحدهم ، والتفتت الى أبيها تقول في
صوت خافت :

- اخترت الأمير منلوس

كانت هذه كلمة هيلين . وقد لبث الجميع من دهشة المفاجأة مبهوتين .
وكان أحدهم مفاجأة وأعظمهم اندحاشا « منلوس » نفسه . فهو لم يكن
أبرز الحاضرين شخصية ، ولا أكثرهم ثراء ، ولا أقواهم بأسا ، ولا أجملهم
رواء . وكان موقفه من هيلين كلما رآها ، أقرب الى العابد منه الى موقف
المخاطب . ولكن هيلين قالت كلمتها ، والمشيتة في ذلك مشيتها

ولقد ظهرت بوادر الاستياء على الامراء ، ولكنهم ذكروا اليمين التي
أقسموها ، واللعة التي استنزلوها على الحائنين

واحتفلت اسبرطة بزواج هيلين ، وأقيمت الاعراس بين الاناشسيد
والرقص وتحايا الاشعار وأكاليل الازهار . فلما أن أصبح الصباح ، أعلن
الملك الشيخ أنه نزل عن العرش لصهره بمثابة الهدية لمرسه

ولم تفض سنوات حتى كان الشيخ قد مات ، تاركا على عرش اسبرطة
صهره منلوس ، والملكة هيلين ، وابنتهما الصغيرة هرميون والجميع في
وثام وسلام

في بلاد ملك طروادة الاسيوى

كان في تجاه اليونان ، في البلاد الواقعة شرقي بحر ايجه على الشاطئ
الاسيوى ، مدينة عزيزة الجانب شديدة المنعة ، قوية غنية ، هي طروادة
وكانت المدينة واقعة بين جبل « ايلا » والشاطئ والبحر ، قائمة على رأس
دروة تشرف على الاودية الخصبة المأخرة عند سفحها ، وتتحكم كالسيادة
الأمرة الناهية ليس حولها

وكان الجالس وقتئذ على عرش هذه المدينة العظيمة « بريام » وهو في
قصره المرد الفخم سعيد باستقرار ملكه الضخم ، فخوريا أولاده الخمسين ،
وكان أشجعهم « هكتور » وأجملهم « باريس »

وفي ذات ليلة رأت الملكة « هيكوبا » في منامها « قبل ولادتها « باريس »
حلما عجيبا : رأت نارا تنبلع من بطنها ، ثم أخلت هسه النار تنظم
ويمتد لهبها الى المدينة وتستشرى فيها حتى حرقت طروادة كلها . وعينت
الملكة من نومها مذعورة ، وقصت على الملك رؤياها ، فجعل يسرى عنها ،
وهو في دخيلة نفسه ليس أقل انزعاجا منها . فلما أسفر الصبح ، دعا
بالكهنة المرافين ، فتوافقوا واحدا بعد الآخر ، وهم جميعا كهول قد
شابت لحاهم الطوال وشعورهم المسترسلة ، فلما احتشد جمعهم واكمل



حفلهم . ادخلوا الى قاعه العرش حيث كان الملك والملكة في انتظارهم .
 فسلموا بالتعظيم ، ووقفوا في انتظار الامر ، مطاطين رءوسهم ، ضاربين
 بالاذقان صدورهم . واذن الملك لهم بالجلوس في حضرة ، وأبلغهم السبب
 الذي استقدمهم من أجله ، ثم دعا الملكة أن تقص عليهم رؤياها
 وأصفي الكهنة الى تفصيل الرؤيا في صمت مطبق وسكون مطلق ،
 فلما فرغت الملكة هيكلها من روايتها ، قام أكبرهم سمسا ، وقال بصوته
 الخافت وهو يغطي رأسه الاشيب أسفا : « رؤياك أيها الملكة رؤيا محزنة ،
 فالولد الذي سوف تلدين ، سيكون سبيبا في حريق عظيم يدمر طروادة .
 ذلك مبلخ على » . وقام على الأثر سائر السكبان فرددوا ما قاله

كبيرهم ، وهم يهزون رموسهم المبيضة أسفا ، ثم أخذوا ينصرفون فلما صار الملك والملكة وحدهما وخطتقاعة العرش الا منهما ، أجهشت الملكة بالبكاء ، وكان الملك حزينا مهوما ، ولكنه أقبل عليها يحاول التسرية عنها ، فلما حدا روعها قليلا ، سألته عما هو فاعل ، فقال :
 - نحن - بحمد الآلهة - غير محرومين من الولد ، وعندنا منهم الكثير ، فلا بأس ألا يكون لنا هذا الأخير ، فليس من الصواب في شيء أن نحرم عليه ، اذا كان حريق طروادة على يديه
 - واذا كان الكهنة مضطئين ؟ واذا كان الوجه في تعبير الرؤيا غير ما ذهبوا اليه ؟

- كلا ، الكهنة لا يضطئون - وقد رأيت كيف هم على هذا التأويل مجمعون ... لا ، لا ، لا يمكن أن نحفظ بالوايد - سيحصل عند مولده الى الغاية البعيدة ويترك هناك - وبهذا نكون قد كفلنا الخلاص لمدينتنا - ولكن ماذا يكون أمر الطفل المطروح في الغابة ؟ انه حالك لا محالة ، وتكون نحن سبب هلاكه

- اتنى المسئول عن هذا البلد - والواجب يقضى على أن أقدم بلادى على أولادى - ان فجيمتى فى ولدى واقعة على وحشى ، أما الوطن فالفجيمة فيه تشمل الاجداد والابناء والاحفاد والايال المقبلة جميعا ولم تجد الملكة المزمينة المسكين غير التسليم - ولما وضعت وليدها لفته فى قضا من الحز المطرز ، ودثرت بدثار من الصوف ذى الوبر ، وأودعته سلة لطيفة كانت قد أوصت بصنعها ثم ألحنت عليه وقبلته فى لهفة مرات ، ودفعته الى الملك - وحاولت وقد تبادرت عبراتها وأغلقت عليها باب غرفتها ، تبكى وليدها وتفكر فى مصيره واحتل الملك الأمير الصغير ، وأرسل فى طلب داج من رعائه الامناء ، وناوله الوليد قائلا :

- هذا الطفل يجب هلاكه ، فاحمله الى جبل ايدا ، بعيدا عن المدينة ، وعن الصار ، واتركه وحده على القمة ولا تعد اليه - هذه مشيئتى وأنفذ الراعى مشيئة الملك ، وعاد الى كوخه فى سفح الجبل - ومنذ ذلك اليوم ، تكررت على نظر الراعى ظاهرة غريبة - فهو يرى من بعيد دبة من الدبة ترقى الجبل فى صباح كل يوم وتهبط فى المساء - وقد بلغ من الراعى العجب أن دفعه الفضول ذات يوم الى أن يرقى الجبل خلفها ويقفوا أثرها ، فاذا الدبة تبلغ القمة وتقرب من السلة المطروحة وترخم عليها لترضع الطفل - ثم تعود لأدراجها - وقد حجب الراعى ما رآه ، وكان لا يكاد يصدق عينيه ، ولما عاد الى كوخه قص على امراته القصة - فقالت وهي لا تتمالك نفسها من العجب : - هذا من خوارق المعجزات - وهو

دليل على أن الآلهة تريد خيرا بالأمير الصغير ، فيتمنى أن لا تدعه يهلك ،
وصادف هذا الكلام هو في نفس الراعي ، فذهب تحت ستار الليل
الى قمة الجبل ، وحمل الطفل في سلته الى الكوخ ، وقام هو وامراته على
العناية بأمره على أنه ولدهما ، وقد افهم بالسرور قلباهما أن يكون لهما
ولد بهذا الحسن والرواء

وسب الغلام على اعتقاد انه ابن الراعي ، وقد أطلق عليه اسم «باريس»
وكان حين كبر يتولى عن أبيه رعى الغنم ، كما كان يخرج أحيانا للطرود
ويعود الى الكوخ محملا بالصبيد . وكان يزيد مع الأيام ربحانا وحسنا
ويبدت عفتونا ولباسا ، وكان عليه من نيالة السمات ووجاهة الشارة ما
ينم على الامارة . وكانت تتعرض له الفتيات من بنات الرعاة وهو معرض
عنهن ، ولم تقع في نفسه الا الصبية فاينون ، ذات القلب الحنون التي كانت
تسكن على جبل ايدا فلقبته في صباح يوم رائق ، رقيق الهواء شفاف النور ،
وكانت مثل غصن الزنبق في ثوبها الأبيض ، تنطق الزهر البري ، وتجعل
منه كل زينتها ، فهو الطاقة في يدها ، والتاج لشمعها والحلية لمنطقتها .
وكانت وسط هذا الزهر العميم ، تظفر وتغنى بصوتها الرخيم . وهكذا
لقبها «باريس» أول ما لقيا ، فاستماتته وتولع به قلبها

في وليمة الآلهة على جبل الاولمب

تروى الاساطير ان آلهتهم كانوا في معظم ولائهم يفلتون دعوة الهة
الخلف والشقاق «ايريس» حتى لا يكثر وجودها صفو اجتماعهم وكانت
«ايريس» تذكر ذلك منهم وتضبطه عليهم وتدخلها لهم حمية وحزازة .
وقد بلغ اليها قيام حفلة شائعة من أبي حفلات الاعراس دعيت اليها الآلهة
جميعا ، ولم يستثن من الدعوة ميروما . فانهزت اجتماع الآلهة في قاعة
الاحتفال حول المائدة وألقت عليها تفاحة ذهبية مفقوش عليها «الى أجمل
النساء» . فكان طبيعيا أن تدعى الحق فيها جميع الماضرات ، ثم انتهى
الامر بأن انحصرت المنافسة بين «أفروديت» و«هيرا» و«بالاس آتيناء»
وقد طلبن الى كبير الآلهة «زوس» أن يكون الحكم ، ولكنه كان أحكم من
أن يقضى بينهن ، لاسيما وفيهن «هيرا» زوجته ، وأشار عليهن أن يلذهبن
الى جبل ايدا بالقرب من طروادة فيحتكن الى ابن ملكها الأمير الشاب
«باريس» الذي يرعى هناك الاغنام جاهلا شرف محنته

وما كان أشد تعجب الفتى ودعشته حين مثلت أمامه وتجلت قيد عياله
هذه الصور الرائعة للربات الثلاث ، وعندنا أقبل عليه «هرمز» وكانه
يطير من خلفه قميمه المجتحنين ، وقال له في لطف وايناس كأنه يصرفه
منذ سنين طوال :

— لا تعجب مما ترى يا «باريس» ! ان هؤلاء الربات الحسان انما
هبطن من سماء الاولمب ليحتكن الى البشر أيهن أبرع حسنا - ولما اختاروك

كبير الآلهة « زوس » لتكون الحكم • فمن وقع عليها اختيارك بعد التأمل والروية ، فامنحها هذه التفاحة الذهبية

فجعل الفتى يتأمل الريات الحسان الثلاث وهو لا يفிக لنفسه حتى يستجمع حسه ويصدر حكمه ، فتقدمت احداهن نحوه ، ولما صارت على خطوات منه ، أسرته اليه :

« تعال ، يا ابن ملك طروادة ! فأنا ربة المعرفة والحرب ، ومسيكون عليك أن تكافح عن بلادك وتدفع العدو عن أسوارها وتحمي ذمارها • فإذا أنت محتني التفاحة الذهبية جعلتك من أهل التدبير والمعرفة وكنت حامية بلادك وتصيرتك على سائر المحاربين الإبطال

قالت « بالاس اتينا » ذلك ، ثم تراجعت الى مكانها • وتقدمت وهيرا • حتى صارت في صحافته وقالت :

« أنا زوجة « زوس » ابني الأرباب • وأنت أمير وابن ملك كبير ، وفي استطاعتي إذا أنت قضيت لي بالتفاحة أن أجعلك ملكا على آسيا كلها وأضع في يدك خزائنها وأجعل كلمتك فوق ملوك الأرض أجمعين

وأخيرا أقبلت عليه « أفروديت » ، واقتربت منه حتى لامسته ، وقالت في دلال بصوتها الرحيم :

« انظر الى أفروديت ربة الحب والمتعة • ماذا أنت واجد في السيادة على الخلق أو احتوائك كنوز الأرض ؟ أنك أمير وابن ملك كبير ، ولا ينقصك شيء من علو النسب وشرف المحدث • فإذا أنت جعلت من نصيبي التفاحة ، جعلت من نصيبك ميلين أجمل نساء الدنيا ، فمرفت طعم السعادة التي لا تعدلها سعادة

وكان في هذا العرض ما يفرى الفتى « بارس » الذي كان يقضى أيامه في رعي الغنم ، ولياليه مع بنات الغلب مستسلما لحياة الدعة ، بعيدا عن مطامع الملك ومنافسات أهله • وزاد في اغرائه ما تشببه المروديت حولها من جو مشبع بالسحر والاشواق والتشوة الحسية الفرامية

وهكذا لم يسع « بارس » إلا أن يلقى إليها بالتفاحة الذهبية

ومنذ ذلك الحين ، تغير حال « بارس » مع فتياته ، ومنهن « اينون » التي كانت أعظمهن عنده ، فكان مع بقاء اتصاله بهن قليل الإقبال عليهن طاهر الفتور نحوهن • وصار يكثر من العزلة خاليا بنفسه يفكر في السبيل الى العودة الى مكانه بين أهله

واتفق أن أقيمت في طروادة وقتلة مبارزة من تلك المباريات الرياضية التي جرت العادة بإقامتها في كل عام ، فاعتزم الفتى أن يشارك فيها ، وودع الراعي وزوجته ، وكان الوداع شديد الوقع عليهما ، كأنمالقى في روعهما أن في الأمر سرا وانها هذه المرة يضمانه للمرة الأخيرة الى صديريهما • وكذلك كان وداعه للنصيبة « اينون » وداعا إليها فاضت له

دعوى الفتاة مبرارا وتصلحت زفرتها نارا . وقد قر في نفسها انفراق
الأيد

وكان قد أعلن في أنحاء المملكة دعوة الشباب الطروديين الى المساهمة
أجمعين في المباريات ، فجاؤا أقواجا دون تفرقة بين الأغنياء والفقراء
ما داموا جميعا أصحاب البنية اقوياء . وكان فيهم من يعرفهم شهود
المباريات لسابقة اشتراكهم أكثر من مرة ، كما كان فيهم خلق كثير
لا يعرفهم الجمهور لدخولهم المباراة للمرة الأولى . ولما بدأت المباراة كان
بدؤها سياق المدائن ، وكانت جموع الناس تهلل لمن يعرفونهم كلما مروا
بهم ، هاتفين بأسمائهم . ولم يكن من هؤلاء « باريس » فلم يعرفه أحد
التفاتا ، ولكنه لم يعض القليل حتى ظهر تفوقه على المتسابقين ، فأخذ
المتفرجون يسائل بعضهم بعضا : من يكون ؟ فلما اتفق له النصر أصر
الأمر ، قادة المؤكلون بالمباراة الى المنصة الملكية ، فأظهر له الملك رضا
وانتسى عليه ، وحشيت الملكة في وجهه وبان سرورها به واتجذباها اليه .
ثم سئل عن اسمه ، فقال في غير تردد ولا افتعال :

— أنا الأمير « باريس » بن بريم ملك طروادة وابن هيكيوبا ملكتها !
فلما بانث عليهما الدهشة ، أتاها في الحال بالسلة والقطاء ذي الطراز
وكان قد احتفظ بهما ، فتلقى الملكان ابنتهما التي كان في عداد الأموات
في أحضانها ، وصاح المتأني على الملا يعلن اسم الفائز : « باريس » ابن
ملك طروادة وابن هيكيوبا ملكتها .

وتناسى الوالدان قصة الحلم وتؤيله حين أبصرا وليدهما . يرد اليهما
فنى بلغ مبالغ الرجال ، قوى الأسر وفى النشاط رائع الجلال ، قد فاق
على أقرانه وأترابه ، وهو بعد في ريمان الصبا . وهكذا عاش « باريس » في كنف والده مع سائر إخوته وأخواته ،
واخذ يتأحب عليهم ويتلقى عنهم حتى اتسلخ عن عادات الرعاة القسواء
وهناك مسئلة في كل شيء سلوك الأمراء . وعندما فكر والده الملك أن
يوفده في بعض الاسفار ليفيد منها المعرفة والخبرة

ولما كان الملك منذ مقتل أبيه على يد العملاق هرقل ، وسبى أخته
الصغيرة وارغامها على الزواج من ملك جزيرة سلاميس ، غير مطمئن البال
على مآل أخته بعد أن تواترت الأخبار بما تلقاه على يد زوجها اليوناني من
المهانة وسوء المعاملة ، فقد فكر الملك أن يكون سفر ولده « باريس » لزيارة
عمته في الناحية الأخرى من بحر ايجه . فلم يستم الفتى أن أبصر على
مركب كبير مجهزة ومعه من الهدايا والالطاف كل نفيس . وما برحت المركب
تمخر به عباب الأزرق اللجي حتى اذا بلغ مياه سلاميس ، قصد من فوره
الى القصر الملكي حيث استقبله الملك على ما جرى به رسم استقبال الأمراء .
ولكنه أحس بما وراء ذلك من الجفاء ، وعلى الرغم من أنه لم يقض في

صياغة عمته الا يومين ، فقد لمس ما تلاقيه الملكة المسكينة من العظاظة والصبر ، فلم يطلب له ان يطيل المقام عندها - ويضاف الى ذلك انه طوال رحلته في البحر كان يصرح بعاطفه مع الامواج المتدافعة المضطربة الى ارض هيلين في حبوب شبه الحرية اليونانية - فكيف يطيل مقامه في سلاميس بعيدا عنها ، وليس تفصله عنها الا مسافة يوم أو بعض يوم

غواية هيلين

رفعت المركب مرامبها من ميناء سلاميس ، واطلقت مشورة الشراع متجهة الى اسبرطة ، وكانت الريح مؤاتية ، ولكن « باريس » لم يكفه من المركب ابتغاء شراعها ، بل أمر بالمجاديف ليريد من سرعة اندفاعها - وافتت الظهيرة حتى كانت رسلة قد تقدمته على ظهور الخيل بالهدايا تستأذن له في مقابلة ملك المدينة

وبعد لحظة أقبلت عجلة يجرها حوادران من عتاق الخيل ، وكانت حوالب المعجلة موشاة بالذهب ، ومن داخلها بطانة الديباج ، ويستقلها فارس جميل الصورة في حلة فاخرة وزينة باهرة. وكانت نظرة واحدة الى مظهره تدل على انه اجنبي قادم من الشرق الفنى

واستقبل الملك منلاوس في مظهره المحشوش البسيط صيفه للمكر القادم من الشرق الفنى - وبعد ان بادله التحية ، وسأله عن موطنه وعن البلاد الاسيوية ، دعاه في غير كلمة الى مائدة - قدمت الجوارى اقتداح النبيذ والخمر الاسنى وقطع اللحم المشوى وسحو ذلك من المأكول البسيط - فما أن فرغا من الطعام ودعت آبنيه ، اذا بامرأة اشبه بحور الجنان تدخل وعليها مسحة من السام الحزين ، وتلقى الى ملك اسبرطة قولاً يبدو أنها كانت قد كرره عليه صد حبيبة - « ألا تزال معتزماً بالسفر ؟ وهل لا تزال عند رايك في السفر وحده ؟ »

وينظر منلاوس الى روحته كالمكر لدحولها مع وجود غريب في حصرته ، ولا يسمح الا ان يادر سرير الاتى ، ثم الاعتذار لها بان الوحدة تنقل عليها - وهو مضطرب للرحيل الليلة - فهي تحاول ان تشبه عن السفر أو تقنعه بالذهاب معه - ولما كان كلاهما متعفرا ، فهي هاتبة غاصصة تكاد من الغضب تنسى نفسها وتخرج عن طورها - وما كاد « باريس » يرفع نظره اليها حتى رآه جمالها واضطرب قلبه هياما بها - وما كان هذا الاضطراب ليختفى على هيلين ، ولقد أعجبها ذلك وراقها ، وأرضى كبريائها التي جرحها الزوج برفضه اصطحابها وإظهاره الصبر على بعادها - وقد زاد من ارتياحها في هذه اللحظة الى ما أحدثه جمالها في نفس الغريب من الروعة انه كان اضرب من زوجها شبابا واعشى احابا وأجمل طلعة واضرب حلة وأجنى زينة

ولما كان منلاوس على أهبة السفر بعد قليل ، فقد اجتمع « باريس »



يأتي نهود ال زوجها ليقيم لها عديدا من عروبا يرجوها سلة

بقية عزمه وتحامل على نفسه واستأذن من الانصراف . فوعى الامر خرج
ملك اسمرطه في زهرة من اتعاه بعد ان ودع روحته وابنته ، قاصدا الى
جريدة كريت في زيارة لملكها في شان من الشئون
وبقيت هيلين في الدار وحدها خالية بنفسها تفكر في حالها مع زوجها
والانصراف الى شواغله الكثيرة التي لا آخر لها ، ثم تذكر موقفها الاخير منه ،
والحاحها عليه في السفر معه ، وتتخيل دخولها عليه وفي حطرت ذلك
الغريب ، وعندها تتوقف بتفكيرها عند هذا الغريب ، فيستحضره شيالها
في صفوان شبابه وديمان حسنه وجمالها وحفل زينته وعصامته ، وهي
لا تنسى تصرف هذه الصورة عن مهيبتها ، ولكن الصورة كانت لا تسي
تماودها وتتشتت بها
وكان اليوم عيد « افروديت » ، والناس يحتفلون به كافة وقد ارجعت
بهم الطرقات ، وطافت جموع الفتيان والفتيات يشدون ويرقصون .
وتنتبه مواكبهم الى معبد الربة ، وقد ازدان تماثيلها بقلائد الجواهر واسماط
الدو واكاليل الزهر

ولم تلبث « هيلين » حين حن الليل أن أحسست في نفسها حاجة الى التعبد للربة ، فذهبت ومعها بعض جوارها يحملن القرايين ، فما كانت تضعها على المذبح ، وتشتفر لحظة في انتهاها ، حتى كان الى جانبيها « باريس » يسأل الربة أن تولي له بوعدها وقامت « هيلين » فاذا بها و « باريس » وحها لوجه ، وادة هو يصبك بنراعتها فلا ترد ، واذا هو يخرج بها من المعبد فتتقاد له ، واذا هما تطلق المحلة بهما كالشهاب الهوى الى الميناء ، وسرعان ما ينتشر الشراع للهواء وتتحرك المحاذيف في الماء ، فاذا السفينة الطروادية تقادد الارض اليونانية حاملة معها آية الجمال ، حتى اذا صارت السفينة في عرض البحر تراهي على ظهرها تحت القمر عاشقان متماقنان وكأهما في عنقاتهما الحار شعلة نار

اوله حرب بين الشرق والغرب

شعلة نار كان ذلك الحب - فهو الذي أضرم لشمرة الاول نار الحرب بين الشرق والغرب

فحسبت يونان كلها للمهانة التي لحقت بها - فحمل السلاح نحو المائة ألف يوناني ، بقيادة احدى الزوج المنصوب « انا ممون » ملك ارجوس ، ومشاركة غيره من ملوك المدن اليونانية ، وقد أقتلهم ألف موكب مجهزة أبحرت بهم من ميناء « اوليس » عابرة بحر ايجه الى الساحل الاسميوي حيث تقوم على مقربة من مصيف المردنييل « طروادة » العظيمة

وهنا وقع الصدام الذي تفضي بأحداثه المظالم أول الرواة المتكلمين « هوميروس » ، واليه يلجأ من شاء من القارئ - أما نحن ، فحسبنا

ان نذكر هنا على سبيل الاحتصار ، ان المدينة الحصينة امتصت على حيوش اليونانيين ، ولم يسمر القتال المرير بينهم وبين الطرواديين عن اقتصار مئين لأحد الفريقين فاعتمد اليونان على الحصار آخر الامر ، واقاموا على ذلك سنوات عشر - ولولا ركوهم الى الحياة والحيلة ، لما كان لهم الى طروادة من وسيلة - وهؤلاء هم قد دخلوها حلسة ، وأخذوا أهلها على غرة ، فهدوا أموالهم وسبوا نساءهم وأصموا في رجالهم وأطفالهم تقنيلا ، ثم أضرموا النار أخيرا في المدينة ، فلم تزل نار الحريق تزعى في نواحيها ، وتأتى على أسوارها ودورها ومفاتيحها ، حتى صارت أثرا بعد عين

ولقد فقد اليونانيون في هذه الحرب الكثير من رجالهم ، وفصحوا في معظم أبطالهم ، ولكنهم عادوا ومهم هيلين ، آية الجمال العذبة المثال ، لتشرق من جديد على اسبرطة ، وعلى يونان كلها في ذلك الحين ، ثم من بعده حتى اليوم وإلى أيد الأبدنين ، في محيلة الصالحين حيلة بعد جيل

سميراميس

ملكة نينوى وغاية مدية بابل

« لقد خلعت على الطبيعة صورة امرأة ولكن
اعمالى قد فاجت أعمال لشجع للرجال »

نينوى حين كان يعتقد أوجامسوريه
ببنة عن الملك نينوس ، عالفاساها
شانة فتية رائعة الحسن ، فتانة
الجمال ، فلب قلبه هذا الحسن
الوضاء ، واسر قوله ما رآه من
ذكائها الفوق وسرعة بديهيها ،
فبادر الى الزواج منها ، وسرعان
ما رحت معها على كفته، وتحكمت
فيه بعقلها وحكمتها ، ولم يسعه
الا ان يحصع لشينها ، والا ان
محترم ارادها ويأخذ بتصحها في كل
ما يمر به عليهما من الشاكل العويصة
وكان الملك نينوس رجلا طموحا
عظيم الطامع ، وكان قد استطاع ان
يخضع اغلب الاقطار الاسيوية فيما
عدا الهندو والكاترة ، وبما ان ادع
في اتمام تشييد مدينة نينوى ،
وحصنها تحصينا قويا عظيما، وجهز
سورها الضخم القريب بالث
وخمسة ابرج يبلغ ارتفاع الواحد
ماتى قدم ، وبعد ان اطمأن الى ان
عاصمة ملكه أصبحت حصينة الى
اقصى درجات الحصانة جهز جيشا
لجبا عروما ، وذحف به الى الكاترة ،

هي اميرة اسسورية ،
حانت حولها الاساطير
التيانية ، حتى جاء عام ١٩١٠
وكشفت الابحاث التي قام بها
البروفسور « ليمان هوت »
الالماني عن حقيقة هذه الاميرة ،
واعادها الى مكانتها الرفعة في تاريخ
اشور وبابل ، ووضع الامور في
نصابها

وقد استطاع البروفسور ليمان
هوت ان يفتقر الاساطير التي رآه
على ذكرها كقول « في « ذيو ويا من
سيكلاس » و « جوستي » وغيرهما
حول هذه الملكة ، ودلل على انها
كانت حقيقة لا مراد فيها

وتقول الاساطير ان سميراميس
كانت ابنة الاله السمك « اللوحاتيس
اسكالون » في سورية ، وان الحمام
هو الذي ارضعها وغداها وحفظ
لها حياتها ، حتى شبت وترعرعت ،
ثم وجد هامسيوس وسط الصحراء
فجاء بها معه ، واطلق عليها اسم
سميراميس

ثم رآها القائد منوتيس حاكم

فطلب ان يراها ، وما كادت انظروا
تقع عليها حتى فتن بحسنها الوضاء
وذكائها التوقد وجراتها واقدامها ،
فلعتزم ان يتزوجها ، وهرض ابنته
على القائد منونيس بدلا منها ،
ولكن منونيس كان مفتونا بزوجته
مشغولا بها ، ولم يرعه ان يحل
مكانها زوجة اخرى ، كائنة من
كانت ، وخشى على نفسه من غضب
الملك اذا هو ابي ان يتخلى عن
زوجته ، ولم يجد
مخرجاً لنفسه ، من
هيملا المارق الا
بالانتحار

وتسروح الملك
نيسوس من
سمراميس ، وقضت
به سنوات عديدة
كاتب في حلالها زوجة
سالية وكانت حير
من بعدد الملك عليها
ان طيب النصح ولهذا
أوصى لها بالملك من
بعده

وفى الملك نيسوس نحيه بمسد
حكم طال حتى بلغ الثنتين وخمسين
سنة ، وخلفته الملكة سمراميس على
العرش لان ابنه نيناس كان صغيرا
ومن الاساطير التي لم تثبت
صحتها انها استطاعت ان تغري
الملك بان يتخلى لها عن سلطانه لفترة
قصيرة من الزمن ، فرضي بذلك وهو
مطمئن اليها ، ولكنها بعد ان استتب
لها الامر امرت بسجن الملك ثم قتله
ومن لم اعتلت العرش من بعده



سمراميس

والتقى بملك العدو وهزمه شر
هزيمة ، واستولى على كل البلاد
مسلما « كثيرا » مقر سلطاتها ،
مطوقها بحبشه وحاصرها
وكان القائد منونيس في رفقة
الملك فبعث الى زوجته سمراميس
بستقلها ، فلما حضرت ودرست
الموقف ، رأت الفرصة سانحة لتكشف
عن قولها ويرامتها ، فارتدت ملابس
لا تمعما اذا كانت رجلا أو امرأة ،
واتجهت الى المعسكر ،
فوجدت ان الهجوم
موجه الى قسم من
مدينة « كثيرا » قائم
في السهل ولم يوجه
الى قلعتها مما جعل
البيكارة يحرمون
هذه الحصون بعدد
ليل من الحود ، في
غير بقعة واهتمام ،
فانتخب سمراميس
فرقة من الجيش لها
المام بالتسلق ، وقامت
هذه الفرقة وهي

تتقدمها متجهة صوب الحصون
ولم يمض الا وقت قصير حتى
استطاعت ان تستولى عليها فبعثت
يرسلها تسدعي الجيش الرابض في
السهول ، ولم يستطع البيكارة ان
يقاوموا مقاومة عمالة بعد ان
سقطت حصونهم ، ولهذا اسرعوا
بالتسليم حقنا للدماء التي لا جدوى
من اراقتها

وتناهى الخبر الى الملك نيسوس ،
وعلم ان امرأة هي التي عجلت بنصره ،

غير أن القول التواتر هو أن الملك
نينوس أوصى لها بالعرش بعد وفاته،
فقد كان يؤمن برجاسة عقلها،
وقدرتها على الاضطلاع بأعيان الملك،
ومن الأدلة على صحة القول التواتر
أنها شيدت لزوجها قبراً فخماً بجوار
برج بلوس وزينه بنماثيل من الذهب
الحالص



حين استقر الأمر للملكة
سميراميس على العرش احتلجت في
قلها المظلم، وحابلها الطموح إلى
المجد والسؤدد، وأرادت أن تكون
اعظم سائناً من الملك نينوس، وأخذت
ذكراً، فأحدثت تغييراً شاملاً عظيماً
في البلاد، وبدأت في تشييد مدينة
بابل العظيمة التي طبقت شهرتها
الإمامي، واستخدمت قرابة مليون
عامل في هذه المهمة، ومهدت الطرق
بين البلاد، وكانت في بعض الأحيان
تشق الجبال الوعرة والهضاب العالية
لتخلق الطرق المهمة بين بعض البلاد
وبعضها الآخر، وشيدت مدينة
قصور فخمة في بيت جدرانها وأحاطتها
بالحدائق الفيحاء والفراش القناء
ومن الأقوال المعزوة إليها :
« لقد خلعت على الطبيعة صورة
امراة، ولكن لعمالي قد فاقت أعمال
أشجع الرجال، فحكمت امبراطورية
ينوي التي تمتد شرقاً حتى نهر
هياتام وجنوباً إلى نهر العفر
والر، وشمالاً إلى بلاد السيثيان
والصوجديان

« ولم ير قلب أحد الآشوريين
البحر الكبير، فأنا أبصر بعيني أريسة
بحرور، تعرف كل شواطئها
بسلطاني، وأكرمت الأنهار الضخمة
على أن تصب طبقاً لأرادتي، وأجريت
مائها لأحساب الأراغى التي كانت
من قبل قلقة جرداء لا يعمرها
إنسان، وأقمت البروج النيسة،
ومهدت الطرق التي لم يطأها من قبل،
الأوحش الغاب، وفي وسط هذه
الأعمال العظيمة لم أتسأني امرأة،
ووجلت نفسي بمحلات الهوى
والرور»

وقد كان حقاً أعظم مفاتن
سميراميس التي اشتهرت بهما،
إلى جانب روعة جمالها، هي
شمواتها الجنسية القوية، ولأن كانت
المصادر التاريخية لم تات على ذكر
تفاصيل ممارستها وعلاقتها المرامية،
ولكن مما لا ريب فيه أن من كانت
مثلها امرأة رائدة الحسن فتسانة
الحسن لا يمكن أن تنسى أولتها
وجمالها وسط شجة الحكم، وخاصة
وقد أصبحت ملكة شديدة البطش
عظيمة السلطان. وقد اشتهرت
بأنها كانت من المحرم والحكمة
وأصالة الرأي بحيث كانت تضع
الأمور في مواضعها الصحيحة، فقد
حدث مثلاً ذات صباح أن جلست
تتزين وتتحمل قبل أن تظهر أمام
حاشيتها، وإذا بأحد رجالها يقبل
عليها مهولاً ويلفها أن فتنة قد

عادت الى غرفتها تستكمل زينتها
وترتدي ثيابها
وارادت سمراميس ان تخضع
الهند لسلطانها ، وكانت تعلم ان
الهنود يستلزمون الفيلة في حروبهم
وانهم لهذا يتفلقون على اعدائهم ،

انكبت سمراميس
لتخيط الخشن
وواجهت الشاغبين
في جرة وشجاعة ،
وسرعان ما انطلقا
فهيبت الثور

وقعت بين قريشين من الاهالي مواته
يخشى ان لسوء الحاقبة ، فقد وقعت
مهرولة ، وهي نصف مدثرة ،
وشعرها مبعر ، وواجهت الشاغبين
في شجاعة وجراءة ، وسرعان ما انطلقا
لهيب الثورة ، وسكت النفوس
حين رآها القوم واستمعوا الى
كلماتها التي اقتها عليهم . وفي هتو



كهنه له من هذه الخطوة ، ومن ثم تم بينهما الصلح على أن يتبادلا الاسرى ، وتعود الى بلادها

وعلمت الملكة سميراميس عند عودتها ان ابنها تيناس قد تأمر عليها ، وكان قد سبق ان سمعت نبوءة تقول انه حين يتأمر عليها ابنها يكون قد حان الوقت لاختتامها من بين الهالكين ، واستقبالها بين الحالكين . فتزلت عن العرش ، وتقول بعض الاساطير انها قتلت نفسها وتقول اسطورة اخرى انها تحولت الى حمامة وطار مع سرب من الحمام ، ومن ثم اعتبر الاشوريون ان سميراميس خالدة وان الحمام مقدس

وقد ظلت تحكم البلاد مدة اثنين واربعين عاما

وقد اكتشف عام ١٩٠٩ عمود حجري يصف سميراميس بانها كانت احدي نساء الملك سامس اوار « ملك العالم » ملك الاشوريين ، ملك جهات الدنيا الأربع « وفضل ما دون على هذا العمود الحجري ان سميراميس احتلت مكانة مرموقة ، وكان سلطانها عظيما من المرجح انه دام حقبة طويلة من الزمن فلم تكن سميراميس حواء او اسطورة ، ولكنها كانت ملكة عظيمة

فلتدعت حيلة حربية ارادت بها ان تغلب على هذه العقبة ، فامرت بتغطية مائة الف رجل بجلود الثيران السوداء بحيث ليسلو الجمال في صورة فيلة ، وامتطي محارب ظهر كل رجل . واعد ملك الهند جيشا ضخما للاقائها ، ثم ارسل اليها رسوله يلعبها رسالة ملك الهند ويسالها : « لماذا اعلنت عليه الحرب ، ومن تكون حتى تتجرا على مهاجمة مملكته ؟ » وفي ردها عليه يبدو واضحاً مبلغ اعتنادها بنفسها وتقوتها وجبروتها وصلتها ، اذ قالت للرسول :

« اذهب الى ملكك واخبره اني سأخبره بنفسى من اكون ولماذا جئت الى هنا »

وقد نجحت حيلتها اول بالحرب ، فاستطاعت ان تأسر مائة الف محارب هندي ، وان تعظم الف مركب من سفن الهند في نهر الهندوس ، فمر ان الحرب سجال ، وادرك ملك الهند حقيقة الخيلة ، وصرعان ما هاجم جيش سميراميس بفيلته الحقيقية ، ولم يسع جيشها الا ان يتبدد امام هجوم الفيلة والا ان يتفرق ويفسر جثوده ، وحرقت سميراميس نفسها ، ولكنها لوت مع فلول جيشها وعبرت نهر الهندوس ، ولم يعبر ملك الهند ورائها لتحاليد

أوجيني... الامبراطورة الغريب

بقلم الأستاذ طاهر الطناحي

((نصيبى الوقت سدى فقد دخل الشائرون القصر الامبراطورى
وحان وقت الهرب !))

فأحالت الامبراطورة أوجيني سفير إيطاليا السنيور بيجرا فى ملهى
وتجلد وهي تكنت شعورها بالحزن والاسى :
- ائذ ، لنودع اصدقائنا قبل الرحيل ؟

ودخلت الامبراطورة غرفة الاستقبال وهي تتكلف الانتسام وشرعت
فى توديع الحاضرين ، عو أن الروس مربيح سفير النمسا أسرع إليها ،
ودفع بها الى الباب تتحرج دون أن يودعها سفير النمسا ، ثم أغلقه وراءها
فى علف واذلال . وكانت هناك عربة فى انتظارها حاسققتها وأسعدلت
نقانا على وجهها حتى لا يراها أحد . وما لبث الشاطئ أن انحدرت على ظهر
اليخت الممعد لها . وذهبت هاربة الى انجلترا

وكان زوجها الامبراطور نابليون الثالث قد هزم فى الحرب البروسية
هذه هزائم انتهت باسمه وبحصار باريس سنة ١٨٧٠

وقد عزا بعض المؤرخين هذه الهزائم الى أوجيني التي كانت بمثابة
المستشار لهذا الامبراطور فى سياسته الداخلية والخارجية ، فقد كانت
هذه الحسنة الفاتنة امرأة قوية الشخصية مفكرة ، لا تشر على زوجها
الامبراطور الا بسلوك اصعب الطرق . وقد تولت الحكم نيابة عن زوجها
فى ثلاث مناسبات فاب فيها الامبراطور عن العاصمة الفرنسية فى الايام
١٨٥٩ ، ١٨٦٥ ، ١٨٧٠ لان الامبراطور نابليون الثالث كان مفتونا بها
وبما كانت عليه من فطنة وذكاء ، وكان تأثيرها عليه شديدا أدى الى
خضوعه لمشورتها فى المسائل الكبرى ، وذلك على الرغم من أنها لم تكن
فرنسية الاصل ، فقد كان اسمها ماري أوجيني اجناس أوجستين دي مونتجو
ابنة دون سبريادو جوزمان كونت تيبا ، وقد ولدت فى مدينة غرناطة
الاسبانية عام ١٨٢٦ ، وكانت امها ابنة وليام كيرباتريك القنصل



الأمريكي هي مدينة ملقا وهو اسكتلندي الاحمل ولكنه استوطن أمريكا وتحسن بالجنسية الأمريكية

قضت أوجيسي عهد الطفولة في إسبانيا ، ثم انتقلت مع أمها واختها إلى فرنسا في الثامنة من عمرها . وتلقت علومها في المدارس الفرنسية ، وتعلمت عدة لغات هي : الإسبانية لغة أبيها ، والإنجليزية لغة أمها ، والفرنسية لغة البلد الذي هاجرت إليه

وفي شهر نوفمبر عام ١٨٥٢ دعيت أوجيسي مع وأمها إلى حفل في مدينة فونتلو ، ظهرت فيها لوجيسي كفارسة حساء تحسن ركوب الخيل ، ففتن جمالها قلوب الحاضرين وفي مقبضتهم الامبراطور نابليون الذي كان يرأس الحفلة ، فأعجب بها إعجابا شديدا ، وأخذ هذا الإعجاب يتطور حتى أصبح حال إلى حد حارف عنيف أدى إلى زواجه بها في يناير سنة ١ٸ٥٣ ، وأقيمت لها حفلة زفاف كبرى في كنيسة بوتردام لم تشهد فرنسا حفلة

متفهما في أبهى وأغنىها ومشاهدتها ومشاهدتها الرائعة ولا أنهي الاحتفال ، صحبها

نابليون الثالث إلى قصر التويلري

وقد تضللت مشاعر أفراد الشعب الفرنسي بقرآن هذا الزواج ، فالعظمى فد حياء ، لأن الامبراطور تروج المرأة التي أحباها وهي وان لم تكن فرنسية ، فهي سبيلة أسرة كريمة المعتقد . وكان البعض الآخر يمتنر على هذا الزواج ، ويرى أنه كان على الامبراطور أن يحسب زواجا



اسماعيل يس

سياسيا يقوى به مركز فرنسا ، أما كان العهد قدما بين ملوك أوروبا وعلى الرغم من اعتراض المتروفس فقد شاء الساريج أن تجلس الفتاة العتيبة أوجيسي إلى جانب نابليون الثالث على عرش فرنسا الامبراطوري ، تسببطر على الامبراطور وعلى من حوله بحملها العنان ، وشخصيتها الجذابة ، وفطنتها الخلابه ، وعباراتها العذبة ، وحديثها الشيق ، ورأيها الحصيف وقد استطاعت أن تحصل نابليون الثالث يمسو ما كان بين انجلترا وفرنسا من عداة قديم بالتحالف بين الدولتين . ولكي توطن هذا التحالف سافرت مع زوجها الامبراطور إلى انجلترا لزيارة الملكة فيكتوريا في قصرها بلسن ، فاستقبلتهما ملكة انجلترا وزوجها ألبرت استقبالا حافلا وأقامت لهما عدة حفلات باهرة ، وبعد عدة وحيزة ردت الملكة فيكتوريا وزوجها الزيارة للعاملين الفرنسيين ، كان لهذه المودة التي وطدتها أوجيسي مع الملكة فيكتوريا أثرها فيما بعد حين لقيت محنتها في الحرب السميكية مع زوجها ، فقد عطفت عليها فيكتوريا واستضافتها في بلادها ، وحملت عليها كل وسائل الاحترام والتكريم

وفي ١٦ مارس عام ١٨٥٦ وضعت أوجيني ابنا أطلق عليه لقب «الأمير الإمبراطوري» كما أطلق عليه لقب «ابن فرنسا» . ولقد كانت أوجيني مودعا رائعا تقديدا وأناقته وأبهتها مساء أوروبا وعلى الرغم مما كانت تعيش فيه من أبهة وملك عريض ، وما كان لشخصيتها من تأثير في الخاصة والعامة ، فقد كان للإمبراطورة الفرنسية الثانية خصوم يريدون القضاء عليها وعلى عائلتها . وقد حدث أنها وزوجها كانا يمتطيان مركبة تنطلق بهما إلى دار الأوبرا الإيطالية في أوائل يناير عام ١٨٥٦ ، فالتقت عليهما ثلاث مابل أريد بها أعيالهما انفجرت تحت المظلات ، ودهمت بأرواح بعض أفراد الحاشية ولم يهانا ندى . وقد قال الإمبراطور في كلمة ألفاها في البرلمان الفرنسي .

« أشكر الله الذي منح الإمبراطورة ومنحني حمايته ورعايته . واني لم أجد جانا لأن مؤامرة أريد بها اغتيال حياة اثني أفضت إلى الذهاب بأرواح كثيرة »



نابليون الثالث

وكان عام ١٨٦٩ ، فندمي الإمبراطور نابليون الثالث والإمبراطورة أوجيني إلى حفلة افتتاح قناة السويس ، في ١٦ نوفمبر من تلك السنة كما دعي كثير من ملوك أوروبا وأمراءها إلى هذه الحفلة ، فلبت الإمبراطورة الدعوة ولحلف الإمبراطور فلم يحضر الاحتفال

وكانت الإمبراطورة أوجيني **توافية أن**

تري مصر ، وتسمى **قنصلة للسويس** .

وأن ترى ذلك الم حل الذي اشتهر بالندح والإسراف حتى أصبحت بلاده غارقة في الديون ، والذي عرف عنه انه يحاطه بمرمته وملائه أيضا كانت ، وكيفما كانت المواقف

من أجل هذا رحلت الإمبراطورة أوجيني قبل موعد الاحتفال بثلاثة أسابيع ، فوصلت القاهرة في الاسبوع الثالث من شهر أكتوبر عام ١٨٦٩ ، وبادر الخديو اسماعيل فاحتفل باستقبالها الاحتفال الذي أراد به أن يجعله أنزه الأول في نفسها ، وأمر لها في قصر الجزيرة ، وحاطها بكل صروب المتعة التي تصو إليها كل نفس ، وقام بشؤون ضيافتها بصورة فافت كل ما أله الملوك وأعظم المواقف في العالم

وكان قد سبق أن قيل له انه لابد لها من زيارة الأهرام وأبي الهول ، وإن الطريق لذلك الأثر الفرعوني العظيم غير مهده ، فأصدر أمره بتجهيده وجعله صالحا لسير المركبات وزراعة الأغراس الوارفة الظلال على الحائسين . وما كان أسرع وزير الأشغال ومدير الحيزة إلى إصدار أوامرها بتسخير عدد كبير من الأعمالي الذين تابوا على العمل ليلا ونهارا حتى تم تجهيد هذا

الطريق الطويل في أقل من ستة أسابيع ، وغرست الانتحار على الحائسين .
 لظلمته وجملته وجعلته من أجمل الطرق
 ومع أن أوجيسى كانت في ذلك الوقت في الثالثة والأربعين من عمرها ،
 إلا أنها كانت لا تنفك ساحرة الجمال . حلالة الحسن ، رائحة القوام
 كأنها لا تزال في عفتها الثالث ، فعن اسماعيل بحسن دلتها ، وسبحر
 لحاظها ، وقتة جمالها ، وهو الرجل القصور دائما بكل امرأة جميلة ،
 كائنة من كانت ، بسميه الجمال ، ويسحره الحس والرشاقة ، فلارمها
 اسماعيل ، وأغرم بها غراما ، وأعد لها كل أسباب المتعة والراحة ،
 واحاطها بحماوته ورعايته . وأقام لها معالم الانسحاب وأسباب الابهة
 والعظمة التي تأخذ بلبها وتسخرها ، حتى أصبحت أوجيسى بشوابة
 بتلك المظاهر التي لم ترها ولم تحلم بها



وبعد أن قصت أسبوعا في القاهرة ، أعدت لها المدة لرحلة بيئية الى
 سعيد مصر لرؤية آثار العراقة في الأقصر واسوان . ورافقها اسماعيل
 في تلك الرحلة ، وكانت رحلة حافلة بكل صروب الترف والمسرات
 ووقعت أوجيسى أمام تلك الآثار الخالدة ، وراحت تربو إليها بأنظارها
 وخیالها يسمح في اسوار الفصاء ، وتخييل ما كانت عليه ملكات العراقة
 من أبهة وعظمة ، وما يصنع من مع الحياة
 وعادت الضعة الجملة ، والمصنف من هذه الرحلة المتعة . ولما وصلا
 الى القاهرة يادر اسماعيل بالرحيل الى الاممكسره واستقبل يخته
 المحروسة الى بورسمند لكون في امه فقال صيوته من الملوك والامراء ،
 وكان أول الواديين منهم امم هوبه داموبه . ثم امراطور النمسا
 والمجر ، ثم الرسس فودريك ولهم دى عهد نروسيا ، دى يوم ١٦ نوفمبر
 اقبلت السفينة . ايحيى - السر - بحسن الامراطوره النمسا اوجيسى ،
 رئيسة الاحتفال - بحف بها السرا والسلات والوصفات
 وأعد لها اسماعيل مظاهره صححه عظيمه لاستقبالها ، فتجمع على
 الارصفة في نظام مديع صباط الجيش وأركان الحرب ، ورجال الموسيقى
 وجماهير غفيرة من الاهالى ، والاعلام تملو الرؤوس ، والمدافع تطلق قذائفها
 تحية لصفه اسماعيل الساحرة ، حتى لم يسمع أوجيسى إلا أن تهتف لمن
 حولها بقولها : يا لله ! ثم رى في حياتى شيئا أجمل من هذا !
 وبدأ الاحتفال العظيم الذى تكلف ملايين الجنيهات ، والذى ناعت من
 وطائه خراة مصر . فى سبيل مظهر كاذب ، وفى سبيل متعة رائلة عابرة
 ثم انطلقت بها باخرتها تعبر قناة السويس ، حتى وصلت الى الاسماعيلية ،
 وكان اسماعيل قد أقام هناك تمرا خاصا ، فلما وصلوا الى الاسماعيلية
 وانتهى الاحتفال ، وتقدم اسماعيل الى صموه يشكرهم واحدا واحدا على

تفصلهم ببلده دعوته . ذهب إلى ذلك القصر الجديد وبعد أن أبغض أوجيسي أن اسماعيل قد نال فسطا من الراحة . امتطت ظهر حواد مطعم . وانطلقت إلى ذلك القصر . لتشكر الحديو على حماونه العظيمة بها . تلك الحماوة التي لن تستطيع نسيانها ، والتي مستظل مائلة في دهبها مدى حياتها

أما باقي الملوك والأمراء فقد آثروا أن يذهبوا إلى قصر اسماعيل للشكر بعد الظهر . وفي المساء أقام اسماعيل حفلة راقصة عظيمة تحت رياسة الإمبراطورة أوجيسي

عادت الإمبراطورة الحسنة من حفلة افتتاح قبة السويس بسوانه هذه الضخامة والابهة والمظاهر الصحية والتمتع الشائعه في تلك الليالي التي دوتها ما روتها ليلي الف ليلة وليلة من عجائب وغرائب قصص اسماعيل لهذه الحسنة الفرنسية في حفلة القبة التي حفرت ببناء الشعب وأرواحه ولم يمر عام حتى كانت الحرب السبعية بين روسيا والإمبراطور نابليون .

وكانت أبناء الهراثم تنوال على مسامح الإمبراطورة أوجيسي وهي ماسة في قصر التويلري ، فأحدثت تمطد وتمتد للاظهار نائمة الحسان . وقد أرادت أن ترمي ثياب الركوب . ومطى ظهر حواد ، ومطى به في شوارع باريس تحت ساس على نفس النصال فلم تحت عن ثوبها . وجدت أن الحدم قد أذهبوا **عرصة الاصطرا** - وسرمو . كل نياها ، فلم يسمحوا أن تفعل ما أرادت . ولو أن الإمبراطورة قامت بما اعتزمته لكان تاريخ تلك المواقف أقل حطه . خاصة ما نوه النامع .

وقد أظهره أوجيسي في هذه الصاعه الرحمة طويلا وشجاعة وثبات جبان أثار عذاب كل من رآها وأحمرها حرمت إلى الجحش

وأكرمتها الملكة فكتور . وأرسلها إلى قصر تسرهيم حيث وأماها زوجها وأنها لويس نابليون . وفي هذا القصر قضى الإمبراطور نابليون الثالث بقية حياته حتى وأما أحله ، ودهن في أرض إنجلترا

أما الابن لويس نابليون فقد لقي حتفه في إحدى المعارك ضد الروال عام ١٨٧٦ ، وفي العام التالي ذهبت أوجيسي إلى المكان الذي دفن أبها فيه . وعادت برافاته ودفنتها إلى جانب رفات أبيه



وقد قصت أوجيني بقية حياتها في عرلة تلمة لاتصل بأحد ، ولا تصل بها أحد ، وكانت تسمع الأحداث التي تجري في فرنسا وهي مقبنة في العيلا التي شيدتها في كاب مارتن على شواطئ الريبييرا ، ولكنها لم تكن تتدخل في السياسة الفرنسية البتة

، وفي سنة ١٩٠٥ زارت مصر الامبراطورة (السايفة) اوجيني . وبرت
في فندق سافوي ببورسعيد جنسكرة ، فاقترح الشيخ علي يوسف علي
الشعراء ان ينظموا في وصف هذه الامبراطورة . ويوازوا بين محبتها
الى مصر في هذه السنة ، لالتفت اليها الانظار ، ومحبتها قبل ذلك سنة
١٨٦٩ في افتتاح قناة السويس . فنظم حافظ ابراهيم في ذلك قصيدته
جاء فيها

أين يوم القنال يارمة التنا	جـ وياشمس ذلك للهرجان
أين يجري القنال أين سميت الناحية	أين جري القنال أين سميت الناحية
أين ذا القصر بالحزيرة نحرى	فيه أرزاقنا ونخبو الأمان
فيه للنجم كوكب ممرع السيف	ر ، وللمعد كوكب متوان
كشت بالأمس جنة الخور يا قص	ر ، فأصبحت جنة الحيوان
خطر الليث في فنائك يا قص	ر ، وقد كنت مسرحاً للهمان
إن أطافت بك الخطوب فهدى	سنة الكون من قديم الزمان
رب بان نأى ، ورب بان	أسلمته السوى الى غير بان
تلك حال الابواب يارمة التنا	ح ، فما حال صاحب الايوان
قد طواه الرنى ولو كان حياً	لنقى في ركابك القنلان
إن يكن غاب عن جيبك تاج	كان بالرب أشرف التيجان
فلقد زانك الشيب بـتاج	لا يلائمك في الجلال كمدان
كنت بالأمس صبية عند ملك	فأنت اليوم صبية في خان
وأعذرينا على القصور كلاً	غيره طواريء الحسدان

وبعد أن قضت أياماً في بورسعيد استعادت فيها ذاكرتها تلك الأيام
الذهبية والليالي الاسماعيلية التي مرث بها السنين كما تمر الاحلام عادت
الى انجلترا . وكانت بين حين وحين تقوم بربارات الى بعض عواصم أوروبا
ماعداً فرنسا حتى كانت سنة ١٩٢٠ ، فقامت بزيارة ملكة أسبانيا . وقد
أخذت السنين من صحتها ونشاطها ، وهناك في مدريد اشتد عليها المرض ،
لفضت نحبها في ١١ يوليو من تلك السنة وانطفت تلك الحياة التي
امتلات بالاحداث الكبرى ، ولعبت صاحبها دوراً خطيراً في السياسة
الأوروبية ، وكان لها من فتنتها وسحر جمالها وتأثيرها فيمن حولها من
امبراطور ووزراء ورجال القوى أداة واعظم سلاح

مدام كوري

أخذ فائزات التاريخ

بقلم الدكتور عبد الحليم منتصر

عميد كلية العلوم بجامعة عين شمس



إذا كانت كاليوترا أو حشيشة
أو الزبا أو غيرها من النساء قد
فتن حنة من الرجال ، فإن فتنة
الذكاء والمعرفة والإنتاج العلمي
الرفيع ، هي الفتنة المحالفة ...

وإذا كانت كاليوترا أو حشيشة أو الزبا أو غيرها من النساء ، قد فتن حنة من الرجال هنا وهناك ، فليس ثمة دليل على أن كلا منهن كانت فائزاة مصرها من بين نساء الأرض طرا في ذلك الزمان ، فضلا عن أن مقاييس الجمال ليست واحدة في كل عصر وأن ، وليست واحدة عند كل الشعوب ، أما مقاييس المعرفة والذكاء والإنتاج العلمي الرفيع الذي يعم به ، فما أظن أن نساءنا خلافا بشائنها ، لم تحصد من يماري في عبقرية ابن مينا وابن رشد وابن الهيثم وأرسطو وسقراط وبيثاغورس ونيسوتن وأينشتاين ومن المهتم من

الحر أن يفتق أولا على ما من نفسه بالقصة ، ومن ثم بها صحر الميوس ، وحمال العذراء ، وحسن القوام ، وما إلى ذلك من صفات حشمانية ، أم نعني بها أثر هذه الفتنة على الرجال عامة ، ومشاهيرهم في التاريخ بصفة خاصة ، أو نعني بها فتنة العلم ، والمعرفة ، والذكاء ، والإنتاج العلمي الرفيع الذي يخلد بصاحبه على التاريخ ، وخاصة إذا كان هذا الإنتاج ذا أثر على الإنسانية كلها ، لا على رجل من الرجال أو شعب من الشعوب أو أمة من الأمم ، ولا مراد في أن النوع الأخير من الفتنة هو الأخلد والأبقى ، وهو الأعم نقضا ، والأطيب ذكرا

عاشقة التاريخ وفاتحة الفكر على مر
العصور والصور - ولكنك مستجد
حتما من يجادل في جمال كليوباترة
أو حتى عيسوس أو غيرها من ربات
الجمال ، فالجمال مسألة خلّافية إلى
حد كبير ، فمن تغتص هذا قد لا تغتص
ذاك . ثم إن أثر هذه الفتنة يتوقف
على مدى الاستجابة لهذا الجمال
والإحساس به ، وهي استجابة
محدودة وإحساس مؤقت



فاذا كان الامر كذلك ، وانه
لكذلك فيما يبدو - حق لنا ان نعد
مدام كوري اخلا فائنات التاريخ
طرا . لقد استهواها العلم ، فوجبت
حياتها له . فرغمها الى اهل موآب
الخلود ، ولدت في سنة ١٨٦٧ ،
وشغلت منذ صغرها بالقراءة
والاطلاع ، توسم ايها المبدل
الذكاء والنشاط ، وتكهن لها بمستقبل
علمي بارع . وفي سنة ١٨٩١ سافرت
من وطنها بولندا الى باريس ، لتلتحق
بجامعة السوربون طالبة نابهة .
ولكنها فقيرة ، تستاجر غرفة متواضعة
في حي فقير ، تآوى اليها اذا جن
الليل ، حاملة معها ما يلزمها من ماء
وخبز ووفود ، وانها لتعمل في كلية
المعلوم عاملة مأجورة تفصل الاواني
وتنظف الحاصل ، فيساعدنها أحرها
على سد نفقات التعليم

ثم لقيت « ماري » وهذا اسمها
« بيير كوري » ، فشغفها حبها وأعجب
هو بذكائها ، وأعجبت هي بسله
ورفته ودماثة خلقه ، عملت مساعدا
له حينا ، ثم تزوجته ، وطلقت
تواصل النوس والبحث بمعاونة
زوجها وفي عمله ، الى ان وفقت الى
كشف كان له اعظم الاثر واخلاه .
لقد انبأها « بيكرل » انه كشف أن
ظهورات اليورانيوم تؤثر على الانواع
الضوئية ، وأن حام « تشيلد »
له نفس الاثر ولكن بدرجة اشد .
فهزتها هذه الانباء بعد أن استرعت
انتباهها وتمكيرها ، ما سر هذا
الاثر على الانواع الضوئية . وما
هي الوسيلة لاسحلاء غوامضه ،
وانها لتنتقل الى زوجها انباء هذا
الكشف وانها لتفريه بالبحث معها
من حينها بلسوج ، وانها لتراوده
ليترك بوقت من الغنطاطيسية
ويماونها في بحوث هذه العناصر التي
عرفت فيما بعد بالاشعاعية ، وانها
لتقترخي المال لاجراء هذه البحوث ،
وانها لتطلب طنا من صخور هذه
الحامات ، وانها لتواصل الليل بالنهار
لفصل هذا العنصر ، الذي رأت بشاغب
نظرها انه سيكون له شأن أي شأن
لقد ظلت تواصل البحث اربع
سنوات تناعا ، حتى اذن الله ان يكون
هذا الكشف الرائع على يديها . نعم

كورى ودحا طويلا ، عاد ينقسم لها
برحة ، اد عيرودجا استادا للطبيعة
فى جامعة السربون ، وعينت فى
مدرسة بمدرسة الملغات العليا فى
باريس . وتقدمت برسمالة لنيل
درجة الدكتوراه فى العلوم ، وقد
سجلت لجنة الفحص اعجابها بجهود
مدام كورى وكشفها الرائعة .
وقررت اللجنة ان رسالتها اعظم
بحث علمى قدم لنيل هذه الدرجة .
وكانت احاديثها على الاسئلة الشفوية
موضع اعجاب وتقدير جميع من
حضرها هذه المناقشة الفنية

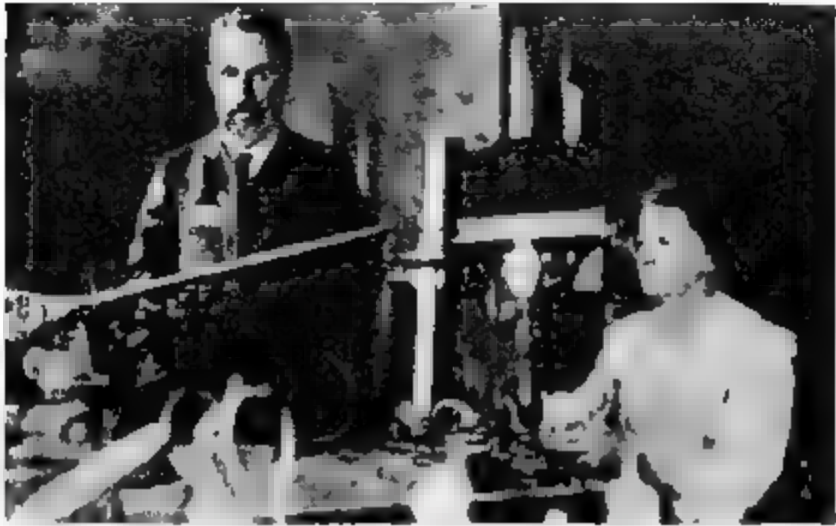
وقد عرضت كسل من حكومتى
انجلترا وفرنسا ، ان تمنح مدام
كورى الاوسمة والسامى ، تقديرنا
لهودها فى الحب العلمى ، ولكنها
رفضت ، مفضلة ان تمنحها الدولة
مستلزم لايرجى بحوثها ونجاحها . وفى
عام ١٩٠٣ نالت مدام كورى
بالاشتراك مع زوجها والاستاذ بيكرل
حائزة نوبل فى الطبيعة ، وهى جائزة
عالمية عالية كبيرة موقوفة على المبرزين
فى البحوث العلمية . وقد ساعدها
ذلك على تسديد بعض الديون التى
تراكمت عليها بسبب الانفاق على
البحث العلمى

لقد كانت مدام كورى تستطيع
ان تكون ثروة طائلة ، لو انها ارادت
استغلال كشفها العلمى الرائع ،
ولكنها كانت تتبرع بكل جسرلم

مسنة ١٨٩٨ كشفت مدام كورى
عنصر اقوى من اليورانيوم ، لقد
اسمته بولونيوم نسبة الى وطنها
بولندا . وانها لتكتب فى مذكراتها :
« ان اسعد ايام حياتى تلك التى
امضيتها فى هذا العمل المتواضع » .
نعم فقد كان عملها يشغل غرفة
لتشريع الموتى ، وكلما الرعب يستول
عليها عندما يحن الليل وانها لتألف
على العمل فيه . واذا بهذه البواقي
والانابيب تستجبل مشعة متألقة من
الظلام . واذا بها تكشف عنصرا آخر
اقوى اثرنا من منسابقيه ذلك هو
« الراديوم » . ذلك العنصر الذى
احدث انقلابا فى علوم الطب والكيمياء
والطبيعة والفرة . هذه الاملاح
المشعة ، التى سطلت منها دلائل
صغيرة ، هذا العنصر الذى يعتبر
أعلى المواد الحارقة ، قهرام واحد
منه يساوى عدة آلاف من الجنيهات ،
هذا العنصر الذى يقتل الميكروبات
ويصلح الامراض المستعصية
كالسرطان ، هذا العنصر الذى يشفى
الحلوى فى استعمله حتى لقد أصيب
بيكرل نفسه بحرق مؤلم فى صدره
بسبب وضعه أنبوية كان بها قليل
منه فى جيبه ، هذا العنصر الذى
تعذر اشعته خلال الزجاج والصمغ
المعدنية الرقيقة ، وانما يحفظ فى
خزانات من الرصاص أو القضة



على ان العنصر الذى عيسى لمدام



مريم كودي وزوجها في معملهما يوصلان الإشارات التي اخذت بالبشرية

ما ليست أن استردت رباطة جأشها، وعادت إلى مراسله بحوثها، وتقدمت لشغل كرسي الأستاذية الذي كان يشغله زوجها . وكان حدثا هذا في باريس الجامعة أن تعدد امرأتها منصب الأستاذية في المبرور، وأثار تعيينها في كرسي الامتدادية حتى بعض المحافظين والشعاشين . فقالوا ان الفضل في كشف البولونيوم والراديوم انما يعزى إلى زوجها لا لها . على أنها لم تلق بالا إلى حسد الحاسدين وكيد الكائدين ، وأما استمرت في بحوثها حتى استطاعت أن تستخلص الراديوم من أملاحه وأن تعين وزنه الذري، الامر الذي لم

تستخرجه من أملاح الراديوم ، وكان آنذاك أغلى عنصر في الوجود . كانت تهيم بالمرضى يصالجون به في المستشفيات . انها لم تحاول الانزا على حساب العلم والمعرفة وإنما باثرت أن تظل عاملة في حقل البحث العلمي، عن أن تعيش عيشة الترف والنعمة . ولو قد أثرت الأخرى لسيها التاريخ لقد فضل الخلود العلمي الذي كتب لها بفضل صبرها وجدها ومتابرتها



ولقد كان موت زوجها في سنة ١٩٠٦ أثر حادث مرور في أحد شوارع باريس صدمة عنيفة لها ، فأمضت الحزن عليه حيناً ، إلا أنها

العلم والانسانية هذا العنصر النفيس،
والتي كان من اعر أمانتها أن يكون لها
منه جرم واحد تنصرف فيه كما تشاء
في الوقت الذي منحت مستشفيات
العالم مائة وخمسين جرما منه .
وقد رأى رئيس الولايات المتحدة أن
خير حدية يقدمها لها اعترافا بفضلها
وتقديرها لجهودها أن يهديها جرما من
الراديوم ليحقق بذلك أمنية عزيزة
على نفسها لتزيد من بحوثها في
خصائصه ، ولتضيف الى أباديتها
على الانسانية تخفيف الآسها وويلاتها
عن طريق العلاج به

لقد كشفت بحوث مدام كوري
عن أفاق جديدة في الذرة ومصرفة
كده للمادة ، وبحرف علم العلماء في حقب
التاريخ من تحويل المعادن الحسيسة
الى نضبه

لقد عاشت مدام كوري حياة حافلة
بالمكاج ومكنت ناعا من المح . لم
تلبسه سيفه من فائنات التاريخ
الإعجاب ، وهي في رأي أعز على
التاريخ وأخلد فيه من فائنات جميعها
من أتممت حياتهن بمعاني أخرى
ليس من بينها العلم والمعرفة وخلسة
الانسانية عن طريقهما . وكانت سنة
١٩٣٤ خاتمة المطاف بالنسبة لمدام
كوري ، حين ألفت عصا التسيار
بعد حياة حافلة زاخرة بكل أسباب
المجد والخلود

تكن قد وثقت اليه في حياة زوجها
لقد كانت محاضرتها الأولى في
جامعة السربون مفاخرة علمية رائعة ،
منحت قاعة المحاضرات بحشد كبير
من كبار رجال الدولة وسفرائها ،
وعلى رأسهم رئيس الجمهورية يصحبه
صيفه ملك بلغاريا وزوجته . وكان
الاعجاب بالما بهذه السيدة النبيلة
الحزينة ، التي تلقى محاضرتها بصوت
رزين ونبرات واضحة ، يعنى على
المحاضرين من علمها وحسن أدائها .
مما يهر المحاضرين وآخر من المحافظين
ثم منحت مدام كوري جائزة نوبل
مرة أخرى ، فكانت أول من حصل
على هذه الجائزة مرتين ، بل كانت
الوحيدة بين علماء العالم التي حظيت
بهذا الشرف وذلك التقدير مرتين

وفي خلال الحرب العالمية الأولى
أقدمت على عمل اتصالي بظلم ، لقد
جصت كل ما إستحصله من عنصر
الراديوم وأملاحه ، وذهبت به الى
« برسو » . ثم حشلت مائتين وخمسين
فتاة من بينهن ابتها « ايرين »
وأخذت تعلمهن طرق استعمال
الراديوم والأشعة في العلاج . وقد
كافاتها الحكومة الفرنسية بأنشأت
معهدا للراديوم وعيبتها مديرة له ،
تقديرًا لملها وقضها



هذه السيدة الفاضلة التي منحت

نفرتي ملكة النيل

المنحبت الرابع لم يتركهم في سلام ، بل أمر على عبادة الهة وحده ، وتحريم عبادة آمون وغيره من الآلهة الأخرى ، فغضب الكهنة



واشعق والده ، المنحبت الثالث ، ووالده ، الملكة تي ، على ابنهما المنحبت الرابع من غضبة الكهنة ، لنعمته الذهب الجديد ، فأشارا عليه بالهجرة من طيبة ، فهاجر إلى تل العمارنة مع زوجته الجميلة نفرتي ، واشتركا معا في إنشاء مدينة جديدة ، سماها «أخيتاون» - أي أمق اتون



وكانت هذه بداية متاعب نفرتي . . . فبعد ١٢ عاما توفي والدها المنحبت الثالث ، بعد أن أتته صحته في طلب اللذة . وظهر بعد ذلك شلوك زوجها المنحبت الرابع ، الذي جاهر بمذاته ككهنة آمون ، فأنكر آلهتهم ، وأغلق

نفرتي - الأميرة الجميلة - هي إحدى سبع بنات للإمبراطور المصري المنحبت الثالث ، والملكة المصرية العظيمة « تي » . وقد شبت الأميرة الجميلة لتشهد بواند أنهيلو إمبراطورية مصر العظيمة ، فقد أعمل والدها الإمبراطور العظيم شتون إمبراطوريتيه ، واتمسق في المللات ، حتى عجز عن القيام بأمانيه ، فأشرك في الملك زوجته وأحباها المنحبت الرابع ، وتفرغ هو لفرصه شهوانه



ووجدت الأميرة الجميلة نفسها ملكة في حياة والدها المنحبت الثالث ، المارق في ملذاته . فتلفت إلى زوجها - وأخيها - المنحبت الرابع ، ولكن هنا قام بنشر دين جديد لا يعترف إلا بآله واحد هو «أتون» الشمس . ولم يقض الكهنة في أول الأمر ، فقد كان الهمم « آمون » يمثل آله الشمس أيضا . ولكن



معابدهم ، واتخذ لنفسه اسما
جديدا هو احناتون !



وتحول احناتون عن حبه لزوجته
الجميلة نفرتي ، واساء معاملتها ،
ونزع الى طريقة العيش التي كان
يعيشها ابوه ، والتفت حوله بطاعة
عاسدة مرتشبة متطقعة ، ضربت
حجلا كثيفا بين الملك وبين الحقائق
المؤلة



ولم تطق الملكة الجميلة ببذل
زوجها ، فنشب النزاع بينها وبينه ،
فهجرت قصرها الخاص ، الى حي
« ظل رع » ، واعتزلت الحياة مع
اخيها توت عنخ آتون ...



وفي سورة غضبه ، امر احناتون
بمحو اسم زوجته نفرتي من المعابد
والقصور ، ولزوج من ابنته « هريت
آتون » ، وعاش مع اخيه الخسيس
سمكارع .. وراد في نفور نفرتي
ان زوجها احناتون ولزوج ابنة ثانية
له هي « عنخس ان با آتون » ..



وتخرجت احوال الملكة ، وحاولت
بطانة احناتون الفاسدة ان تستميل
الناس اليه ، وذهب سمكارع الى

نقل احناتون بوجهه العظيم
لتكامل وجهه النحيل التهنل





لوحة امرأة بين الختانين ولوحة قرينتي في جبهة عاتلة
يبدعن الله الجديدة . آتون . وحولها لولاهمسا يرحون

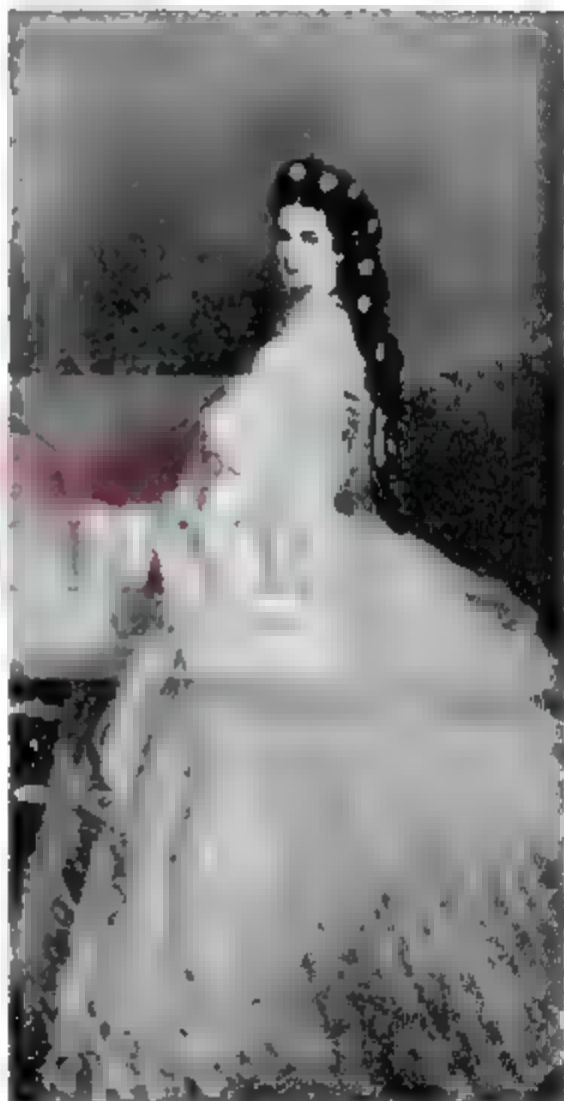
القيصرة الحزينة

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

يذكره كل شبر من
التمسا بالمراطورية
هيسبورج العظيمة ،
ولا تزال فينا ترمو
بقصورها ومنشأها
ومسرحها
الامبراطورية الجميلة



الحرب العالمية
قصت الأولى على
الامبراطورية النمساوية
المجرية ، وعلى سلطان آل
هيسبورج ، وخرجت النمسا
منها جمهورية صغيرة ، لا بعدو
سكانها ستة ملايين من الأنفس
يسعد أن النمسا ما زالت
ترجو يذكريات الامبراطورية
التالدة ، من مختلف الصروح
والدخائر الفنية العظيمة ،
وما زالت فيينا ترمو
بقصورها ومنشأها
ومسرحها الامبراطورية
الجميلة ، وما زالت ذكريات
آل هيسبورج تغمر مائر
أفئادها وجنتاتها
ويضم قصر « البورج »
الامبراطوري كثيرا من هذه



في الطبيعة الحرة ، تركب الجبل ،
وتحوض الرياضات الشسافة ،
وتأثرت اليرابيت في نفس الوقت
بتعبه والدها وعواطفه أيما تأثير ،
فورثت عنه الثمرة الحسنة وحب
الضوء . وكانت ذهنا هائلا يعبر
بالاحلام والمثل ، تقرض الشعر ،
وتحب الرسم ، ولتمتع فضلا عن
جمالها الساحر ، بمواهب عقلية
بدية

وقد شاء القدر ان تحبس اليرابيت
على عرش من اعظم وامرق العروش
الاوروبية هو عرش آل
هابسبورج ، وذلك
بزواجها من القيصر
فرانز يوسف ،
امبراطور النمسا
والحر في سنة ١٨٥٤-
ولهذا الزواج قصة
طريفة . ففي صيف
العام السابق التقى
القيصر الشاب فرانز
يوسف داوودا والدة الديرشيدوقة صوفي
في مصيف باينيل بحالته الاميرق طوراً
ولهلمينا ، وانتهى اليرابيت
أو اسي ، وهو اسمها المدلل ،
وهيلين . وكان من المعلوم بين الاختين
ان فرانز سيقترن بهيلين
الكبرى ، ولكن القيصر بحسنة
خلال اسي ، وجمالها وكانت
اليرابيت يومئذ في علمها السادس
عشر ، وقد تفتح جمالها واظهره ،
وكانت توصف حينئذ بانها اجمل
اميرة اوروبية . وهكذا اترها القيصر
التي على أختها الكبرى ، ولدت

الذكريات ، وهو ما يزال يفتح
للراثرين ، يتجولون في اروقته
الصامتة ، ويستعرضون فيما
يشاهدونه من آثاره وتحفاته ،
عبر المسافى ، وصروف الزمن ،
ويتجهون بابلهم الى تلك الايام
التي كانت فيها تلك المعاهد والمعاني ،
تطعم وترهو سكانها من الملوك
والملكات ، ثم اذا هي اليوم صلعة
حالية ، الا من آثارهم وذكرياتهم
المتروكة المشجعة

وانه ليلعت نظرك في هذا التجوال
بنوع خاص ، مطولان
مؤثران ، غرفة القيصر
فرانز يوسف الذي
عاش سنة وثمانين
عاما ، وحكم بعامية
وسمى عاما . بانها
المواضع ، وسريرها
الحديدي . ومرس
روجسه اعصره
الحشاء المسحور
اليرابيت ، بروعة رياسه وبديسه
تحفه ، واناقتيه المتناهية ، وقد
طلعت فيه صورة رائمة للقيصر ،
يشع منها الجمال والسحر العميق
كانت هذه الاميرة البارعة في
الخلال والحسن ابنة للدوق ماكس
الساغاري ، وامها لوبرا ولهلمينا ابنة
مكسميليان الاول ملك بافاريا . وقد
ولدت في سنة ١٨٣٧ ، وقضت
طعولة سعيدة فاعمسة ، وعينت
والدها بتتشيبتها منذ العداثة في
الاتاق الطلقة ، واطلقت لها العنان



القيصر فرانز يوسف

الخطبة في إيشيل ، وتم الزواج في
العام التالي (سنة ١٨٥٤) وغلت
« سيمى » امبراطورة النمسا
والمجر

وبما الزواج سميًا في ظل الحب
والوثام . ولسكن سرعان ما بدأت
امراض الخسلاف والتنافر بين
الزوجين . ذلك ان القصر كان
محافظة بطبيعته وسحك تقاليد اسرته ،
وكانت امه الارشيدوقة صوف أشد
منه محافظة ورجعية . وكانت
القيصرة الفنية على قبضهما ذهبا
حرا جريئا ، طليقا من قيود التقاليد
القديمة ، وقد مشت هذه الحرية
منذ الحداثة . فكانت تميل الى
العيد والعروسة ومحاولة أنواع
الرياضة المختلفة . ولكنها دخلت
في قصر شونبرون وهو القصر
الملكي العتيق في ضاحية فيينا
شعرت انها تعيش في جو قسوة
القيود والتقاليد الموروثة ، وتطهرت
من جهة أخرى بان زواجها القيصر
اذا كان يميل الى ارضائهما نوعا
والتساهل معهما ، فان والدته
الارشيدوقة صوف ، كانت تميل
في معاملتها الى العناء والحشونة ،
ولا تنك من نقدها ولومها ، ومحاولة
الاعتراض على ميولها وأهوائها ،
واخضاعها لرسوم البلاط وتقاليده ،
على ان القيصرة الفنية لم تأبه لهذه
الاعتراضات ، بل لبنت على سجيته
وميولها الحرة ، تفعل ما يروق لها ،
وتجانب الحياة والحفلات العامة ،

وتبدو في حفلات البلاط بالصور
التي ترونها ، وكانت تمضي دائما في
مزاولة رياضتها المحبوبة ، العيد
وركوب الخيل ، محافظة على سجيته
ودوائها ، وكانت تدخن « السيكار »
حتى لقد انشأت بذلك تقليدا ذاع
بين سيدات الارستقراطية العيبة .
وكان البلاط القيصري المحافظ
ياخذ عليها هذا الملك ، وكذلك
المجتمع العيسر الريمع بنفسه سلوكها
ونأيها عن مشاركته . وكانت هذه
القيصرة الساحرة ، لزهو بجمالها
الرائع . وادائها التي غدت محرو
الاشغال ، ولا تنزل عن شيء مما
تقتضيه المحافظة على جمالها
ورشاقها . فكان تربها بعصر
الروح . معرضا لدهس ما عرف في
هذا العصر من آيات الترف والزينة
والاناقة ، وهو ما يرال حتى اليوم ،
بالرغم من كثر الزمن ، تبدو قطعة
نفس راقية



وق ٢٦ اغسطس سنة ١٨٥٧ ،
وقع بالبلاط النمساوي حادث سعيد ،
وهو مولد ولي العهد ، رودلف فون
هسبورج . وكانت القيصرة
اليزابيت قد رزقت قبل مولده
بنتين ، توميت اولاهما في الهد ،
وولدت الثانية وهي الارشيدوقة
جزيلا في سنة ١٨٥٦ ، وتزوجت
فيما بعد بالامير ليوبولد البافاري
وكان مولد ولي العهد سيبا في لطيف
الجو نوعا ، واحاطة القيصرة الشابة



قصر شوبرون ، القصر الملكي السابق في عاصمة مصر القديمة

من حياة القصر المصنوعة العائسة ،
الى حياة طبقه نهضة ، وبهوى
الادب والفنون

وكانت القيصرة اليزابيت بالرغم
من نشاطها الرياضية وحبها البسة
وكثيرا ما كان يراها الرض فكانت
تقوم من وقت الى آخر بالاستحمام
في بعض الاماكن المنعزلة التي حبتها
الطبيعة بجمالها ، وكان احب هذه
الاماكن اليها جزيرة كورفو ، وقد
ابنت هناك قصرا على الطراز
اليوناني القديم ، وكانت تزوره من
آن لآخر ، وتفضي هناك ابماسجدة

بنوع من الاعجاب والحب والافشاء .
بيد انه ما كاد ولي القيصرة رودلف
يلج الساعة من عمره ، حتى عاد
الحلاف يضطرم بين القيصرة
ولخصومها حول تنسنة الامير
وتربيته ، وكانت اليزابيت ترضى
عليه من اثر المبول الرجعية التي
تسود البلاط ، ولكن القيصرة تركها
في النهاية ان تسهر بنفسها على
تربية الامير وتوجيهه ، فكان لها
اعظم الاثر في تكوين نفس رودلف
وعقليته ، فنشأ كانه حر التفكير
والنزعة في الحياة الخاصة والعامة
يعشق الرياضات الشاقة ، ويرقب

في السكينة والعزلة ، بعيدة عن غمر
السياسة وضجيج البلاط

وبدأت أحزان القيصرة الحقيقية
بمأساة ابن عمها لودفيج الثاني ملك
بافاريا . وكان لودفيج اميرا نابجا
بعضد الآداب والفنون ، وهو الذي
أسس رعاية على فاجنر وفنسه ،
وابتلى له مسرحية الشهير في
«بايرويت» بيد انه كان ذهنيا شعريا
هائلا كثير النجوم . وكان مقررا ان
يتزوج من اختها الاميرة صوفي ، ولكنه
كان يشعر نحوها بحب عميق فكانت
تستقبله بمزيج من المطفو والروع ،
وكان ولدها الارشيدوق رودلف ولي
العهد يشغف بصداقته ويؤوره في
ميونيخ من آن لآخر ، ثم أصيب
لودفيج فجأة بالجنون ، وحجر عليه
ولم تمش أشهر قلائل حتى أنتحر
مع طبيبه غرقا في بحيرة شتاربرجر
في سنة ١٨٨٦ ، فتألوت الميراثية ،
ونائر ولدها رودلف لمحتة اعظم
تأثير ، وتركه هذه المأساة في نفسها
الرا لا يمحي

على ان القصر كان يخبره لهذه
النفس المكشوفة محنة أروع وافدح ،
ويسر بظلي مريضة نحو فجبتها
في أمز عزيل لديها في هذا العالم ،
ونعني ولدها الوحيد الارشيدوق
رودلف

وكان رودلف قد بلغ اشدده ،
ولها شابا نعقد عليه آمال

الامبراطورية ، ولكن هذا الأمير الفتى
كان كانه ذهنا حرا جريئا ، يعشق
الرياضات الشاقة ، ويهوى الآداب
والفنون ، ويطلق العنان لتفكيره
وقلمه ، وكان يرغب من حياة القصر ،
ويحب حياته الخاصة ، ويغشى
البيئات الشعبية ، ويطلق العنان
لاهوائه المضطربة في مجتمع الحسان
الفني ، ويتخلف من أزهيره ماشاء ،
وكان يذهب في تلك الحياة القروية
الصاخبة الى حدود مفرقة ، وقد
تعرف الأمير خلال جولانه ومفاسرانه
الغرامية بفتاة رائعة الحسن من
الارستقراطية الفنية هي البرونة
ماري تشرا ، وكانت ماري فتاة
رائعة الحسن ، في السابعة عشرة من
عمرها ، وانارت ماري في نفس الأمير
جوى يضطرم ، بيد ان حبه لم يكن
سوى عنة حديدة من فتائله الغرامية
وكانت ماري من جانبها تشعر نحو
الأمير بصداقة مبرحة ، وكثرت مقابلات
العاشقين لوقوف كمرهما . وفي يوم
٢٦ يناير سنة ١٨٨٦ ، غادرت ماري
قتشرا منزلها لآخر مرة ، وفي اليوم
التاسع والعشرين من يناير ، وجد
رودلف فون هابسبورج وماري
تشرا ميتين معا في قصر الصيد
الملكي في ضاحية مايرلينج على مقربة
من فينا ، وكانت مأساة مروعة
حمل نبؤها الى القيصرة والقيصر في
صباح اليوم التالي ، وقد ألقى على
هذه المأساة حجاب كثيف من العوض
ولم تعرف حتى اليوم تفاصيلها

الحقيقية . بيد ان البحث الحديث ،
والوثائق التي ظهرت بعد المأساة
تسمح لنا بالقول بأن موت العاشقين
قد وقع بطريق التعامم بينهما ، وان
ولي العهد رودلف قتل حبسته البيلوية
ملري فشرأ لم تنصر بعد ذلك ،
وان انتحاره يرجع الى اسباب نفسية
وسياسية معا



وقد كان مصرع رودلف مسلما
لامه القبصرة البيرايتة لم تسرا منها
قط . ولم تستقر للقبصرة بعد فقد
ولدها حياة ، ولم تهدأ لها نفس ، ولم
يطب لها مقام في العاصمة النمساوية
أو القصر الامبراطوري ، واخذت
تتمسك النمساويان والسلوى في
السياحة والفر ، وكان القبصر
يمسحها ما شئت من الحريات .
وكانت تقضي معظم اوقاتها بهذه من
فييا ، ولا سيما في قصرها السابق
بجزيرة كورفو ، وفي جزيرة كمة
١٨٩٨ ، فزاه في الحويلات الطويل
لرويح النفس ، وتتردد بين ضاحية
مونتر وحيث كان بطيب لها المقام ،
وبين مدينة جنيف

وكانت القبصرة قد جاورت يومئذ
عالمها الستين ، وهدمتها الأوصاف
والاحزان ، وذهبت برواتها القديم
الناهر . وكان القبصر يكتبها انما
كانت وبواقيها تباها بأنبيائه وحياته .
وكان القبصر يترى بثلث النفس
المعدية للكلمة ، ففي يوم ١٠ سبتمبر
سنة ١٨٩٨ ، غادرت العندقي الذي

تنزل فيه في جنيف ، وهو فسدق
« بوريجاج » وسارت برفقة وصيغتها
الى رصف « مون بلان » ، لتركب
المركب البحري عائدة الى مونتر ،
فما كادت تقترب من مرسى الباخرة
حتى اقترب منها رجل ، واجابها
بطمن من حنجره ، اصابها في الصدر
على مقربة من القلب . وكان المعتدي
اطاليا من عصابة الاحكوميين
(الفوسرين) يدعى لوبين لوكي .
وكان اولئك الاحكوميون قد اتشوا
يومئذ في انصلا اوريا ، يحشون
عن فراسهم بين الشخصيات الملكية
المختلفة يجعلونها غداء لدههم
العنيف . والى لوكي الى جنيف ،
والقى في القبصرة المسكينة قرصة
سهلة المال ، وكانت الطعنة قاتلة ،
توفيت القبصرة منها بعد فترة
قصيرة

وكان مصرع القبصرة البيرايت
على قتل النحس الكوسف حلقة جديدة
في كبت القسطنطين التي توالى على
آل هابسبورج ، واعيب القبصر
الشيخ ، الذي لم يكن قد برى بعد
من معننه بفقد ولده ، بضمة
جديدة اثارت كوامن شجبه
وجراحه ، واستطال هذا الاستشهاد
حقبة طويلة اخرى ، شهد القبصر
خلالها ، الامراطورية الهابسبورجية
العتيقة ، تنحدر سراها الى هاوية
الانحلال والتفكك ، الى أن وافته
النية في اواخر سنة ١٩١٦ ، ابان
اضطرام الحرب الكبرى

ست الملك مينا وتغلتما البياسة عن الزواج

كانت مفسداً لها
سياسية أكثر منها
فروايمية . وأجرا
مفسدة لها ، أنها
كانت أخاها الحاكم
بامر الله لتتقسط
بلادها من شره ..





كان اخوها الحياكم يأمر الله
كان الفاطمي يقول لها ، كلما سئمت
الفرس : « انت يا اخنوخ ست الملك
حقا . فاسمك على مسمى .
وجمالك لا يضاهيه في هذه الدولة
جمال . وذلك لك لا يعلو عليه ذلك .
ولمنا لربك ان تبقى بجانبى ،
وتواصى اهلادى بنصيبنا
وارشادك في تدبير شئون الرعية
وصيانة مصالح هذه الدولة التي
خلفها لنا ابونا ! »

وكانت ست الملك تجيب : « لقد
امتنعتك عن الزواج في بلدى الامر
يا اخى لكى اتصرف الى السهر عليك
وانت فتى صغير ، او على الاصغر
طفل لم يبلغ بعد تمام مداركه ، وقد
آل اليك الملك بعد وفاة ابينا العزيز
الله بين المرء وبين الله . ولا اشد
عودك ، وانكرت في ميلا الى الزواج ،
ما نعت انت ، وقلت لى انك تربطنى
لك وحده ، اغتسما وفيه محبوبة
مكرمة ، ولا طيق ان تراتى زوجة
لرجل كانا من كان ، يصرفنى عنك ،
ولم ينى من الاهتمام بشؤون
المملكة ! »

كان الحياكم يأمر الله يندع اخته
ويضلها بأقواله ، وكانت ست الملك
تندع احبا وتضله بأقوالها . فقد
لصرت الكراهية الى قلب كل منهما
تجاه الآخر ، وحلت فيه محل المحبة

الحاكم يأمر الله كما فيه رسم

المشاهدة ، والثقة التي لم تكن تعرف
حدا

□

كانت ست الملك جميلة حقا ، كما
وصفها الحياكم . ولو أنيتم في ذلك
الوقت مباراة في الجماسك كذلك
البريات التي تقام في ايامنا هذه ،
لا تفوقت في هذا الضمير امرأة من
حسان مصر على ست الملك
الفاطمية !

طلعة بهية . وعينان واسعتان .
ونظرات ساحرة . وصوت طيب .
وذكاه مفرط . وهمة عالية . وشرة
نضرة . ومشية كمنية الفزال .
ومنى كعنه ايضا . وقلب مغم
بالشاعر والمواطف . لو وفته ست

الملك الحب فقط ، ونزعت منه ما
مدا ، وكانت تلك المرأة الرائعة سيدة
العاشقات لا تنزعها في هذا الميدان
حصنها !

كانت قد جاوزت العشرين من
العمر عندما مات أبوها العزيز في
سنة ٢٨٦ الهجرية ، الموافقة لسنة
٩٩٦ الميلادية ، وآل الملك إلى أخيها
المضير الحسام ، وكان في الثانية
عشرة من العمر فقط . ولو لم تقف
ست الملك بجانب الصبي الذي أصبح
ملكاً ، لما بقي العرش في حوزة سلالة
الحمر ، فقد قبضت ست الملك على

زمام الأمور بيد أقوى من
يد الرجال ، وبهجة لم تعرف
الكلل في ملأها الهندية
وساعات الاضطراب على
السوة

كان هناك أوصياء على العرش
تأكل المطامع صدورهم . ولكن ست
الملك عرفت كيف تحصد من تلك
المطامع لم تقض عليها وعلى الأوصياء
وكبر الصبي . وما لبث أن ظهر
في مظهر لم تكن اخته تتوقعه فيه .
تحول من مخلوق طبع لين الجانب
رفيق الشهور ، إلى طافية قاسي
اللوأد شرس الطبع متعطش إلى
الدماء . . . وذلك في أقل من أربعة
أعوام بعد ارتقائه العرش

طنى الحسام بأمر الله ونجبر ،
وعمدى في سبل الظلم والفساد
واليفى . وتحولت ثقته بأخته إلى
شك ، ومحبته إلى بغض . وهذا
أيضا ما حدث في نفس ست الملك
تجاه الأخ الضال الشارد عن طريق
الصواب

حاولت وقفه في أول ذلك الطريق ،
لم في منتصفه ، ففشلت . وعمدت
إلى كل الوسائل ، البينة منها
والقاسية ، الهادئة والضيقة ، إلى
النصح ، إلى التهديد . ولم تكن
النتيجة في كل مرة غير الفشل

الذريع ، واسترسل
الحسام في الضلال
القرارات والأوامر
والقوانين والاحكام التي
اصدرها في خلال ربع

...
لو لم تدخلها شؤن
الملك عن الحب
كانت ست الملك في
رأس قائمة قاتل
الفرج . وصرفت
بجانبها جوصها

قرن من الزمن ، بعد أعجب مجموعة
من لومها : حرّم على النساء الخروج
من بيوتهن ، وحرّم على الناس أكل
بعض الأنواع من الطعام ، وأمر بقتل
الأبرياء والملاحق الحملات العامة ،
وفرض الضرائب الباهظة ، وأحرق
عاصمة ملكه وأطلق فيها جنوده
الأغراب ينهبون ويسلبون ويسبون



وقد أراد أن يتخلص من اخته
كيلا تواصل ازعاجه بتدخلها المستمر

في سلوكه . ولكنه خاف مقابلة الامر ، وكانت هي شديدة البقطة ، دائمة السهر على سلامة نفسها ، فاقسفت على الاخ الطافية خططه وتدابيره

وتطلعت اليها انظار : انظار المحبين بجمالها ، فتقربوا منها ، وخطبوا ودعا ، وفانحوها في شأن الزواج ، فرجبت باعجابهم ولكنها رفضت عروضهم

لم تتزوج في بادىء الامر لتضمن الملك لاخيها . ثم لم تتزوج بعد ان ضمنت للاح ملكه لانه حرم عليها الزواج . ثم لم تتزوج لما تحررت من طغيانه لانها صممت على ان تنقل الملك من الطافية . . .

وتطلعت اليها ، مع انظار المحبين ، انظار الخائفين القلقين على مصيرهم . فرجبت بهم ايضا . ولم ترد في الاندفاع في أكثر من مقارفة ، لا تقبل بريد من الموت ، وتخلص ضحية من يوالى للحاكم

اراد الحاكم بأمر الله ان يقتل المغنية « تغريد » ، وان يسطر بحبيبهما « نعيم » وهو من افراد أسرته ، فصالت ست الملك دون افتراء الجريمة ، وساعدت الشابين المتحايين على ان يعقبا زواجهما ، ويهربا من القاهرة الى الاسكندرية ، ومنها الى خارج مصر

واراد الحاكم ان يعرم ابنه طيا من وراثة العرش من بعده ، ووقع

اختياره على ابن عم له ليكون حليفه . فتأمرت ست الحسن على اخيها وعرفت كيف تحفظ وراثة العرش في سلالة العز المباشرة

عشرات من الامراء ، واقسواد ، ورجال العلم والفضل ، رفعت يد الحاكم لتنقض عليهم ، فلذا يد ست الملك تمنعها من الفتك بمن لا يستحق الهلاك ، وتنتزع الضحية من انياب الموت

اصبح بقاء الحاكم بأمر الله جالسا على عرش مصر في وقت من الاوقات خطرا على البلاد وعلى العباد . وبلغ تلوم الشعب اقصد . وادركت ست الملك ان واجبهما يدعوها الى انقلا الدولة من الرجل الذي يسير بها الى هوة سحيقة لا يعرف لها قرار

ونبت في راس الاخت فسكرة اغتيل الاخ « وبخت » عن فريق نائنه على سرها وتمهد اليه بتنفيذ قرارها ، واحتارت ، من بين عظماء المملكة الرجل الذي خفق له قلبها في ساعة من تلك الساعات القليلة ، التي كانت فيها ست الملك تفكر في نفسها ، وفي التمتع بمباهج الحياة كمرأة لها قلب يتطلب الحب مثل غيره من قلوب النساء

ذلك الرجل الذي وقع طيبه اختيس ست الملك هو الحسين الهواس المغربي ، القائد الشجاع ، الناقم على الحاكم بأمر الله بسبب

ظلمه وبغيه ، والمحتزل في قصره بعيدا
عن الناس

أرسلت في طلبه ، فلبى النداء في
الحال

ولم الاتفاق بينه وبينها ...

خرج الحاكم بأمر الله ذات مساء
إلى جبل المقطم ، راكبا حصانه ،
ومعه اثنان من قطيعاته ، ليرصد
النجوم كعادته . فتصدى له ابن
الدواس ورجاله ، وقتلوه ، واخفوا
جثته ...

ولم تضعيع ست الملك وقتها .
فقد نادى بلبن الحاكم خليفة لايه ،
وجلس النساب على العرش باسم
« أبو الحسن الظاهر » وهو الرابع
من ملوك مصر الفاطميين ، وكان ذلك
في سنة (١١) الهجرية ، الواقعة لسنة
١٠٢٠ الميلادية

وتولت ست الملك لرعاية ابن
أخيها ، كما تولت من قبل أروطش
أبيه .

ولكن حكمتها ، وبعد نظرها ، وما
امتثلت به من حذر ، كل ذلك جعلها
تفكر قبل كل شيء في التخلص من
الذي قتلوا الحاكم بأمر الله منها .

فلوعدت من يقتل ابن الدواس
والذين اشتركوا في اغتيال
الحاكم

وصفا الجو للملك الظاهر ، أو على
الاصح ست الملك لكي يعيد الأمور

إلى نصابها ، ولفى القوانين والاحكام
الفريية التي فرضها أخوها على
البلاد ، وتعيد النافمين إلى حظيرة
الطاعة ...

وعاشت ثلاثة أعوام بعد مصرع
الحاكم ، تمكنت في خلالها من توطيد
العرش لابن الحاكم ...

وماتت معززة مكرمة ...
ويعون أن تتزوج !

راحت منها في حياتها ، وبعد
موتها ، اشاعت ثم تثبت منها
واحدة بليل قاطع . ويظن على
الظن أن الرجل الوحيد الذي أحبه
هو الحسين بن الدواس . ولكنه
كان حبا عابرا ، أو مجرد نوبة لم
تدم طويلا ...

ولابد أن تكون ست الملك قد
عرفت في حياتها أكثر من رجل
واحد . ولكنها به وهذا ما يستدل
من وقائع التاريخ المعروفة لنا . لم
تسلم قيادها لأي رجل ، لا من
أسرتها المالكة ولا من كبار رجال المملكة
الذين طالما حاولوا حوالها ، وخفقت
قلوبهم بحبها

أنها من الحسان اللواتي تروج
المؤرخون على وصفهن بأنهن من
« الفاتنات العناري »

ولو لم تشغلها شؤون المملكة عن
الحب ، لكانت ست الملك في رأس
قائمة فاتنات التاريخ ، ولصرت
بجمالها جموعا من العاشقين !

كليوباترا

فاتنة غيرت وجه التاريخ

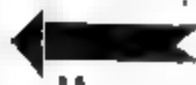
بقلم الأستاذ زكي طليمات



تلفرد كليوباترا بين بطالت التاريخ ، بأن بطولتها مستمدة من
طبيعة جنسها ، بل من الخلق غرائز المرأة ، وهي الأمومة ...
كانت أنثى ذات دلال وخطر ، فقد جمعت إلى كين المرأة وسمة
حيبتها ، طموح الرجل وجراته ، أنها الأنثى العبقريّة !

الاسم كليوباترا ، وألقابها : ملكة مصر ، فاتنة الدنيا ، رقطة
النيل ، ذات الأنف الذي لو قصر طولاً لتغير وجه العالم ،
إلى غير ذلك !

وقد حمل الاسم قبلها ست اميرات من اسرتها ، امرأة البطالسة



ونفشت فيها سيموم سحرها ،
فأحالتها خاتمين تديرهما في أصابعها
كيفية تشاء !

أما (الانطولوج) فقد جرى به
لسان الفيلسوف (باسكال) في
القرن السابع عشر ، حينما أحفظه
أنه لم يجد في سمات وجهها الوصيم
ما يؤخذ عليه إلا طول في الأنف ،
وفي هذه القولة ، الشهادة بأن
وسامة كليوبترا ، لم تكن في حاجة
لتوقيها من العين غير طول في الأنف

وهكذا كان الاسم وما يقببه من

القاب وصفات ، جعل
من هذه الملكة المصرية
نمطاً يترجم به التاريخ ،
وتحيطه أعلام الكتاب
قصصاً ، ومسرحيات ،
وقصائد وأساطير ،
تنمطها الشعوب على
أبرص ، ولا تمل

الملكة الانثى

ولقد نتسائل
ما السر في أنه يحصل
لنا أن يطالع سيرة هذه المرأة أكثر
من سير غيرها من أعلام التاريخ من
النساء ؟

اعتقد أن السر قائم في أن كليوبترا

صقلت كليوباترا على قبر في القصر
الامبراطوري بصفة بركة ، ويرى
المد السلاقي الذي جعلها داخل
الأساطير كمنوع على المنع من الخيال

التي حكمت مصر منذ أن دخلها
الامبراطور المقدوني عام ٣٢٣
ق . م إلى ٢٠ ق . م ، ولكن
واحدة من الاسرات الست لم
تحفر حرفاً واحداً في تاريخ مصر ،
في حين أن السابعة والاحيرة من
حلمن هذا الاسم ، والتي توجت ملكة
على مصر ، وبهايتها انقضت حكم هذه
الاميرة ، هذه ، كتبت في تاريخ
مصر ، وفي تاريخ روما ملحمة
واسطورة



بوليوس فير

وكليوبترا ، اسم
مؤلف من مقطعين في
اللغة اليونانية ، الأول
(كليو) ومعناه فخر ،
والآخر (ترا) ومعناه
وطن ، فالاسم معرباً
هو (فخر الوطن)

واللقب الأول (ملكة
مصر) تؤكد الوثائق
الرسمية الخاصة
بالاميرة ، فهي ابنة

بطليموس الحادي عشر ، الملك
(بالزمار)

و (فاتنة الدنيا) لقب جرى
ويجري به لسان كل من تروعه
سيرة هذه الملكة ، من سلون الفتنة
النسوية والذكاء المتداد على جميع
مؤامرات المرأة

و (قطاة النيل) بعبارة لقب
أطلقه عليها الرومان ، أعداؤها لأنها
« تصوت » على زعيمين من زعمائهم ،



الحيلة ، واسماية في الحبس ، وعناد في الإرادة ، وجراة واقدام ، كانت تدفع هذه الانوثة وتوجهها ، شأن الرنج التي تملأ الفراع فتستسير السفينة ، لأن الشراع وحده ، مهما كبر ، لا يحرك السفينة ما لم تدفعه الريح

بهذه المواهب كلها نازلت كليوبترا الاحداث والرجال ... تصطنعهم ، وتحسن الاحتفاظ بهم وتعتصر احسن ما فيهم ، وتديرهم حيلها تشاء ، والانثى اذا جمعت هذه الصفات ، وكانت يحكم محيطها تهدف لتحقيق أغراض جسم ، أصبحت جسدا ورأسا ، مغيرة عذبة وذهبا وقادا ، قوة جبارة ، لا تقابل بالموسيلة في سبيل النسيان ... وهذا شأن كليوبترا ، وتشهد مسيرتها بأنها ما كانت غير هذا

الحظ الاول

تفتح موهبها على ما يحولها أول ما تفتح ، على أنها سليلة أسرة يونانية مثقلة بحكم مصر منذ ٢٥٠ عاما ، ولكن أفرادها لا يحكمون صاح موهبتهم أمام شهوات الحكم والسلطان ، فكل منهم يشبع على الآخر ، إلا فيما ندر ، بالسهم والخنجر ، أو الكيد والسميسة ، أو كلها معا كانت في الحادية عشرة حينما وعت الدنيا بتضجها المبكر ، والدنيا كانت لديها والدتها وأخوتها وبهبتها ، ثم مصر والدتها بطليموس الحادي عشر ، لقبه الشعب (بالزمار) لهالكه على المجون والسفه ، يخالط الرقيق ويمزق لثامه على مزماره

تتمرد بيوتهم بميزة واحدة ، وهي أن بطولتها مستمدة من طبيعة جنسها ، بل من أخلص غرائز المرأة ، وهي الانوثة

لم تكن كليوبترا قديسة (كجان دارك) ، ولا محاربة مصاولة مثل (زينوبيا) ملكة قنصر ، ولا ميالامية مدبرة (كشجرة الدر) فحسب ، ولا شاعرة (كسافو) ، ولا مخترعة (كسدام كوري) ، قد يكون في كليوبترا أقباس من هذا ، ولكن زادت عليه ، ما هو أعلى مرتبة في تقدير المرأة ، زادت عليه أنوثة عارمة طاغية ، والانثى بتوازنها وحيويتها ومغامراتها أبغ تائرا في الرجل وفي المرأة من أي عامل آخر ، فالرجل مشهود دائما إلى تعرف وجوهه من المرأة ، ولأن المرأة بطورها ، تشغل دائما بالناجاة أنوثة وحيلة من يقات جنسها

وماذا ياترى في كليوبترا من خصائص الانوثة ؟ الهدف النسوي ؟ الجاذبية الجنسية ؟ الوسامة المبرقة الخلق في امتاع الرجل ؟

قد يكون هذا كله في كليوبترا ، وفيهوش كبيرة ، ولكن لو اقتصر الامر عليه لما حصل منها أكثر من غانية ، وسادها ملتهب آخر ، ولياليها أشواق وعناق ، ولما استطاعت أن تلعب الدور الكبير في تاريخ مصر وروما

الانثى العبقريّة

لا شك في أن وراء هذا كله مواهب أخرى : حدة في الدكاء ، وسعة في

تجوز السابعة عشرة واستقر
برصاية روما ، وعلى أن تزوج من
أخيها الذي يصرفها بسنوات ...
أبرمت بهذا الزواج وثيقة ، ولكنها
لم تنفذ ، فعلا ، لا لسبب إلا أنها
تضن بجسدها على عبث مراعق
هزيل !

وقامت الفلسفة على تصريفشون
الحكم بينها وبين الأخ والزوج المحروم
من متع الزوجية ، وسادته بطانة
من الوصوليين ، وقد أذره حزب
قوي من الطامعين ، لمرهان ما ألقبت
الحال في فضل المصلح ، وألقت عصاة
أخيها في روع الشعب أن كليوبترا
ضاربة نزع تلميح وفود (روما)
ما تضن به على (زوجها) ، وهكذا
عرفت كليوبترا ، أول ما عرفت ،
تشويه السمعة زورا ومن أبناء
وطنها ، إذ لو صبح هذا لاستلجعت
بوجود روما ؟

لم تستدرك كليوبترا بروما ، ولم
تطلقها لتصرح على أخيها ، وإنما
هرعت لثوب شولطير البحر الأحمر مع
حلة من حودما المخلصين ، تقرب
الفرص بصد أن آلت إلا يتدخل
الاجنبي في شئون مصرية داخلية ،
وبهذا مسجعت انتصارا للكرامة على
المصلحة

النجم الصاعد

وبينما كانت كليوبترا تلود
بنفسها جيشها لتلقى بجيش أخيها
قرب دمياط من أجل أن يفرد
أحدهما بالتاج ، كان العالم مشغولا
بالحرب القائمة بين أكبر قائدين من
زعماء روما (يوليوس قيصر)

ويرقص معهم ، فكان أن رفض التاج
على رأسه ثم هوى ، ليستقر على
جبين أخت لها تكبرها في السن ،
وفر الوالد الزمار إلى روما يحتمى
بها وترك وراءه ذرية من بنين وبنات
دون سنها ، وتشغلهم جميعا بيعة
عظيمة يمزقها الانقسام في الرأي
والوحد في النفاذ ، وعصر مشدود
إلى ركاب روما التي أصبحت ميلة
العالم ، فعلى حكامها أن يعالفيها
وأن يقدموا لها خبرات مصر بلا ثمن
إلا أن يبقوا على العرش ، التاج عندهم
لا يبدله شيء ، لا العقل ولا الكرامة
وعت كليوبترا كل عسفا ، وما
زالت ضامرة الجسم نائمة الندين ،
وإن تضجعت فيها أثرة قبل الإبرار ،
وبرزت لها وسامة أخادة ، كانت
تحسها لحديث الناس عنها ، الآن
النضج الاثوى فيها ، صاحبه نصيح
ذهني ، فهي على فطنة وطروح ، تلمح
بعين فاحصة ما يجري في روما ويمتد
أثره إلى مصر ، وترفع بعض أخرى
أحداث محيطها ، ثم هي تقف أمام
خريطة العالم وتجري أصابعها إلى
ما يجب أن تمتد إليه حدود مصر
لقد أحسست التبعات الملقاة عليها
لنترد إلى مصر بنفس كرامتها ، ومن
هذا الإحساس انبثقت الحوافز الباطنة
والظاهرة التي كانت تدفعها

الحظي الأولى

بالفتنة في جسدها ، وبالفتنة
في عيها ، وبالعلم البعيد في خيالها
دخلت معركة الحياة بخطى غير مرتعشة
هوى التاج عن رأس أختها
فاستقر على مفرق جبينها وهي لم

و (يومى) ، وقد انتهت بهزيمة
الاخير وهروبه من اليونان ملتجئاً
الى مصر

ولكن اخ كليوبترا لم يتردد في
اغتيال الصيف اللاحق من اجل أن
يضمن مناصرة (قيصر) التي صارت
له الكلمة العليا في روما ... وروما
فى السيطرة على أقدار وادى النيل
وسرعان ما نزل قيصر مدينة
الاسكندرية ، وتحتت القائد المنتصر
طمان السياسى الداهية ، فأعلن انه
انما نزل مصر صديقاً لينهى النزاع
القائم فيها على الحكم ، وليعيد النظام
الى مصابه ، وسرعان ما أقبل عليه
أخوها خاضعاً لمطامع الولاء والاعجاب

وانتهى هذا الى كليوبترا ، وهى
قرب دمياط ، عرفت أن (قيصر)
يريد أن يقدم مصر هدية الى روما
مع أمجاد انتصاراته ، وأدركت
بفطانتها العريفة الا سبيل لئلا
تفرد بالتاج ، والى أن تبقى على مصر
استقلالها الداخلى ، الا اذا صاحمت
مع القائد الداهية ووقف الى جانبها
ولكن كيف الوصول اليه ، رأى
صنف من اصناف الرجال هو ؟

انثى تتعطر !!

لقد أقام أخوها بيتها وبين قصرها
بالاسكندرية سيدوداً وفخوخاً من
عيوله وأعوانه لاغتيالها ، وما حمته
عن معلومات عن قيصر ، متناقض ،
انه شبيخ فى الخمسين من عمره ،
ولكنه شديد القضب ، زير نساء ،
ثم هو يقتنى الفلمان ! تزوج للمرة
الرابعة ولم يحب ذرية ، ابن حروب

ورضع معسارك ، ثم هو فى الوقت
نفسه متفرق فى الامانة وفى الرفاهية !
وعامو يوفد الرسائل اليها
يستدعيها للحضور ويطع فى الدعوة ،
ولم هذا الإلحاح وبين يديه كنوزها
فى القصر الذى يرسل فيه ، وليس
بين يديها الا مال ولا جواهر !

أدركت كليوبترا ببطانة الانثى
ما يعتل فى نفس قيصر ولا يعرف
كيف يفصح عنه ؟

لقاء مصرحى !!

كان قيصر مضطجاً على سرير فى
القصر ، فى جسمه فتور وفى عينيه
سام عميق ، ودخل أحد الضباط
يتقدم عبداً عملاقاً يحمل على كتفه
بساطاً ملفوفاً ، انه هدية من اخى
كليوبترا ، بطليموس ، الى قيصر
واخذ السبد ينشر البساط ، وقبل
أن يأتى على آخره خرجت منه
كليوبترا !

شئ طريف طامح ، انبهرت أمامه
عيناً القائل للحلح

وببساطة الطبع الحصب ، وبسطة
ظهه أضحت كليوبترا تحكى ... انها
لم تجد وصيلة لاجابة دعوته الا أن
تحتس ، فى قارب بين البسطة
والسجاجيد ، دار بها حول الدلتا
ونسلل بين قطع اسطول أخيها الذى
أرسله للقبض عليها !

ومد قيصر يديه نحو كليوبترا
طرباً مبهوراً ... أية مادة طريفة
ساقها القدر اليه لينلج عنه سام
النفس وركود الحس !

البساطة الفنية فى الصوت وفى



كليوباترا مستقلة على امرأة ، وحوثها وصيقاتها يرفعن ويؤلفن

لحرية بهذا الحب
من السهل أن توقع امرأة رجلا
في شباك فتنتها ، ولكن ليس من
السهل أن تحتفظ به ، وتقيد منه
كل العائلة . لتحقيق هذا لابد أن يقوم
وراء الفتنة ذلك الماح تحصن معه
المرأة فهم الرجل ، حتى فيما لا يصل
اليه فهمه من نفسه ، وأن تكون على
ابتلاء وإبتكار في دفع السام عنه
وتعلق رغباته

رجعت كليوباترا الى قصرها
في بساط ، ثم ما لبثت ان دخلت

الإيماة ، وخلة الظل ، والاقدام ،
وسمة الخيلة ، كل هذا يجتمع في
جسد شخص يفيض بالسحر وينبض
بالمعنة ويزينه الوقار اذ هي ملكة
سليقة ملوك ا

ورسم القدر نقطة البداية لعلاقة
قوية بين الكهل والشابة

امراة ورجل

أحبت كليوباترا المبقري قيصر
بمقلها ، وانه لجدير بهذا الإعجاب ..
وأحب قيصر صاحبته بقلبه ، وانها

قتلته ، ثم تقسيم الامبراطورية بين
من تولوا هذا القصاص ، وهما
أوكثافيو وانطونيو ، للاول المغرب
والاخر المشرق ، ومصر وكليوباترا
في هذا المشرق

وامام مجلس شيوخ روما أكد
انطونيو أبوة قيصر لابنه من كليوباترا
فوافق المجلس ، كما أقامه وصيا على
الطفل ، وهكذا ارتبط مصر بـ
كليوباترا بصير السيد الجديد
ولم سيد هو ؟

قاله روماني عازم القوة شديد
المراس ، ولكنه يتعاطى النساء
والخمر في امراء وكانه غير متزوج
... وفوق هذا فهو يترسم خطي
استاذة (قيصر) في كل شيء ،
وقيصر تزوج من كليوباترا ، فأتته
الدنيا وله منها ولد قد يحكم روما
ومصر في وقت واحد ، وقيصر كان
يحلم بفرو فارس ، متخلدا من مصر
قاعة لرحمة ا

وارسل السيد الجديد الرسل الى
كليوباترا يطلب لقاءا ... وتمنعت
غير مرة ، واحيا تم الاتفاق على أن
يلقاء خلال برمة سرية امام شواطئ
الشام ... أن مسألة روما تقضى
بهذا ، وانطونيو هو عد أوكثافيو
الذي نصب نفسه ابنا لقيصر
بالتبني ا

وعلى سفينة ارجوانية الشراع
تصبح في بحر من طرف ارض
الفراعنة تم اللقاء ... بعد أن تمنعت
كليوباترا في (اخراجه) كما يلق
المخرج المسرحي في ابراز مشاهد
المصرية ... هي مسترخية فوق

قلب قيصر في غلازل من حريق
وهي تتفنن في أن تقسم له ألوان
الترف والرمحية التي ألها وتزيد ،
وأن تتعلق نوازع الشيوخنة
المتصاية فيه ، وأن تشهره بأنه
الأمر المسيطر عليها ، بل كانت الى
جانبه في الممارك لاختاد الصورة
المسلحة التي يقودها اخوها بطليموس
ضدها وعند قيصر ، وكانت تشاوكه
مصعبه الحشن في الحيلة ، ولكنها
في الليل تنقلب الى فاية حلوك ...
حيوات عدة تجتمع في امرأة واحدة
لم يسمع قيصر الا أن يتزوجها ،
والا أن يعقد ناز مصر على رأسها
بعد أن سقط اخوها في احشائها
المبارك . وحكنا استطاعت كليوباترا
أن تغير وجه التاريخ في احشائها
مراحلته ... عاد قيصر الى روما ،
بعد أن أعطته ولدا من احشائها يحمل
اسمه ، عاد واقتنع شيوخ روما بأن
مصر ، وملكتها ، انها هي الحليفة
التي يجب أن يكون لها القوة
والسلطان ا

وهنا يبرز سؤال يرفع الصوت
- هل الامونة هي كليوباترا هي
التي نستبد بها وتقودها ؟ او ان
كليوباترا تتخذ من ابوتها ، وهي
المرأة العاقلة ، وسيلة الى تحقيق ما
يرسمه ذهنها ؟
لعل الجواب الشافي لهذا التسره
الاحداث الآتية ؛

السيد الجديد

واول هذه الاحداث ، لتتبع
قيصر في روما . لقد بلغ النجم
الصاعد تمامه ، ثم القصاص من

الوسيلة إلى غاية في ذاتها !
والفرقة الجنسية إذا سيطرت
على الرجل بتأثير من امرأة تكافح
بها ، انصرف الرجل عن كل شيء
سواها . انصرف انطونيوس عن تحقيق
حلمه في غزو فارس بعد احتلال مصر
نقطة ارتكار له وحظها ولايدرومانية
... وبقيت مصر دولة مستقلة !

العائنة كليوباترا تغير وجه
التاريخ مرة ثانية ، فيما كان
مرموما له !

ليس للسياسة قلب

وللمرة الأخيرة وقف كليوباترا ،
وقد انصرفت بها السن ، أمام أحداث
ذات خطر ...

أوكتافيو يسوق روما لمحاربة
انطونيوس ، بعد أن تمكنت الأمور ،
ومباحات العلاقات بين القرنين ، لاسيما
وقد تجسم خطر جديد بهذا أوكتافيو
في شخص ابن قيصر الشرعي من
كليوباترا

وفي معركة (أكتيوم) ، يعنوب
اليونان عام ٣١ ق م ، كانت
كليوباترا على رأس أسطول مصر
تناصر زوجها ، وهي موقنة أن في
عزيمته ضياعا لتاجها . ولكن الذي
وقع أن كليوباترا ، حينما أحست
أن الفاترة تمور على زوجها ، انسلت
بأسطولها راحة إلى الاسكندرية
تاركة زوجها للهزيمة

إن الآراء تتضارب في تفسير هذا
الموقف :

فمن زاعم بأنها فعلت هذا لانهما
أحست بأن نجم انطونيوس قد اثل

سريع من النخب ، تحولها الجوارى
بحرقن البخور ، وهو يتقدم نحوها
فوق منثور الزهر ، هذا والنساء
يسرف الايقاع الذي تضرب به
معاذيف السفينة وجه الماء

وانحنى انطونيوس بجرحه الكبير
يأخذ يد الملكة التي لم تقف له ، ثم
انحنى ، فإذا هو يجثو ... ولم يبق
وسام معها إلى الاسكندرية تاركا
روما ورواحه

واعاد التاريخ نفسه ...

سيد روما في قبضتها تديره على
الوجه الذي يحفظ لخصلاسلامتها ...
هي تعجب به في أول الأمر ، فلذا
الاعجاب طريق إلى الحب ... ولذا
الحب يقيم أمراست الزواج ... وللمرة
المجربة تدري بعطرتها أن الزواج
ملجأ الحب ، ولكن في الزواج استقررا
وفوائد !

هذه المرأة !

إن في كليوباترا خاصية محببة
إن التوهم عنها أنها ما
ينقلب إلى حقيقة . أنها تمنع من
تقصير الشخصية التي تدعمها
الظروف إلى أن تعيش في ليوبها ،
هي تمنع في هذا إلى حد أنها تقضي
فيها ، بعد أن تتكيف طبق مستلزماتها ،
وكليوباترا في تقصيرها هذه
الشخصية ، أما تهدف ، أول ما
تهدف ، إلى أن تسيطر على الرجل
الذي تريده من أجل حفظ تاجها ،
وحده السيطرة لا تتم إلا بتدخل
الفرقة الجنسية ، بحيث تصبح
الوساطة والوسيلة ، ولكن إذا تم
لهذه المرأة أمر السيطرة ، تحولت

هي لا تحب الأتليان !

ومن قائل بأنها توخت أن تنال
الخطوة لنبي المنتصر ، أوكتافيوس ،
السيد الجديد !

ومن مرجف بأنها أثرت ألا يتحطم
استول مصر ، وأن تنقد به ما يمكن
إعاقته من عدتها !

ومن مؤكدة أنها بادرت بالرجوع
إلى عاصمة ملكها لتتدارك أسباب
الموقف الجديد !

إن الموقف يحتمل بعضا من هذه
التأويلات ، لوكلها معا ، ولكن الذي
لا يحتمل تأويلا هو أن الحب في قلب
كليوباترا لم يتدخل في هذا الموقف ،
وبمعنى آخر أن الحب لدى كليوباترا
لا يتعارض مع مصلحتها ، التي هي
مصلحة مصر

قلام النفس

وما هي ذي كليوباترا في قصرها
تفكر وترسم ، وتراجع وسائلها في
أن تسيطر من جديد على سيّد زوجها ،
وعبر يظهرها من فطنته مع قيصر ثم
مع انطونيوس

ولعلها أخفت تدبير أمر (إخراج)
مشهد مروج جديد ، بعد ذعنها في
أسباب حركته ، ولعلها نسيت أنها لم
تعد الفتاة الناعمة النديين الوثيفة
الحركة ، وأنها تجاوزت مرحلة
ازدهار النضج الأنثوي

أيا كان التدبير الذي أخفت به ،
لأن أوكتافيوس لم يترك لها طويلا
وقت ، عما هوذا يدخل مصر بجيوشه
من سيناء ، وقد أحضرت الإبحار
الواحدة من معسكره بأنه قطع وعدا

بأن يسير بملكة مصر أسيرة إلى روما
في قيود من ذهب

ملكة مصر ، سبيلة الفراعنة ،
زوجة يوليوس قيصر وأم ولده ، ثم
زوج انطونيوس . . . كبرياتها ، كبرياء
الأنثى التي عرفت السيطرة على أبطال
الرجال ، شعورها بانطفاء العتة
فيها . ربا له من لاجع مريب - وإلى
جانب هذا ، وهو الأهم ، يقينها بأنه
لم تعد هناك وسيلة تحفظ عليها
نفسها ، وتصور وطنها

كل هذه العوامل مجتمعة ، أنهت
عزمها على شيء . . .

فوق سرير من ذهب يحوطه سلال
الملك وتزف الفراعنة ، بين اثنين الناي
وتصانق الدخان الصاعد من المباخر ،
أسلمت كليوباترا جيلها إلى النسي
مسجلة ، اختارتها من بين الخاضع ،
يكون الموت من نايها وكأنه لماس
رفيق يريد من رواء الحسن وتوهج
العتة !

كان الرومان في أعدائها ، يؤمنون
بأن في الانتحار بطولة دونها بطولة ،
إذا جاء مخلصا من ذلك وهو أن

انتحرت كليوباترا ، أعلاء لمرش
مصر ، وقبلها عاشت لمرش مصر ،
وبدلت في سبيله مرش جمالها
وفتنها ، وباشعارها ، غيرت ، لآخر
مرة ، وجه التاريخ فيما قدره لها
أعدائها ، فلم تدخل روما في ركاب
الأسر والذل ، وبقيت بحياتها ، ثم
بماتها ، أسطورة ينشعبها التاريخ ،
عنوانها الفاتنة التي غيرت وجه
التاريخ

لأنها في حياتها أن تكون ملكة فمنعه أبوه ، فلما ارتقى العرش أخرج جنتها من القبر وتوجها ملكة

الجنة المتوجة

عصا وتولى العرش بعد الموت

دعها اسة معها يارتها ، فذهبت الى لشبونة عاصمة المملكة ، وولدت في القصر الملكي ضيفة على زوج كونستان

ووقع الأمير في حبها ، وأحصل زوجته وفي مدينة « كويمبرا » الشهيرة بجامعة أليالية ، توجد الى الآن عين ماء تدعى « عين الفرام » يقال أنها كانتا ملتقيان عندها ، وأن ميلها المرده كانت واسطة

التخاطب بين الحبيبتين ! كان الأمير يلقى رسائله الغرامية في الماء فيسقطها التيار الى الحبيبة ، وكانت يفتش الرد على رسائل الحبيب بالطريقة نفسها . وهذا القرب « يريد » عرفه العشاق في كل زمان ومكان

وماتت الزوجة في سنة ١٢٢٥ ، وابنسى في الخامسة والثلاثين من العمر ، وأراد دون بيدرو أن يتزوجها ، فعرض أبوه الملك بصفة أنه لا يليق بالأمير أن يتزوج عشيقته ، لكن الأمير تعاضل على التقاليد ، فتزوج الحبيبة سرا ، ووجد بين رجال الدين من يعقد الزواج حسب قوانين الكنيسة ، ويبارك الحب الذي أصم

إن الفرام الذي نرى لك هنا مأساته ، لعجب فرام عرفه التاريخ بلا شك اسم العاشق « دون بيدرو » واسم العشيق « اينس دى كاسترو »

ومسرح فرامها بلاد البرتغال ولدت اينس دى كاسترو سنة ١٢١٠ وماتت سنة ١٢٥٥ ، في الخامسة والأربعين

كتب منها شعراء ، ومؤرخون ، ومؤلفو مسرحيات ، وحلد صورتها رسامون ونحاتون ، وحياتها مدونة في لغات عديدة كالاسبانية والبرتغالية والإيطالية والفرنسية

كانت على جانب عظيم من الحسن والدلال ، شعرها ذهبي . وحنقها طويل كحنق الغزال . هذا ما وصفها به الكتاب الإسبانيون الذين عرفوا « حنق الغزال » من الشعراء العرب

كانت لها ابنة تدعى « كونستان » تزوجت من الأمير « دون بيدرو » ابن ألفونسو الرابع ملك البرتغال ، وولي عهده

ولما عرف دون بدرو بما حدث،
جن جنونه ، وبلغ حزنه مبلغا
لا يوصف ، وقرر أن ينتقم . ولكن
كيف ذلك ، وأبوه لا يزال ملكا ،
والقاتلان في حماية أبيه ؟ لابد من
الانتظار ، ريثما يؤول العرش إليه



ولادت الانتظار ان لا يطسول
انتظر الأمير ، فقد مات أبوه بعد
مقتل اينس بقليل ، وارتقى
دون بدور العرش ، وأصبح ملكا
على البرتغال ، وصاحب السلطة
التامة المطلقة على شعبه ... وعلى
الشرقيين القاتلين !

وكان انتقامه رهيبا فقد اتى القبط
على الشرقيين ، وأمر بتمذيبهما ،
وبعد الأمر أمام عبيده ، خلال مائدة
أعلمها لأصدقائه

وكان البرتغاليون في ذلك الزمن
أربع شمول العرب في تعذيبه الأسرى
والتمتع في هذا إلى حد يصعب على
العقل تصديقه

عيون تفتأ ، السمة تقطع ، الخافر
تسرع ، مطام تحطم ، جلود تسليخ
عن الأجسام ، أطراف تحرق بالنار ،
كل ذلك كان الحكم ينزلون بها المتهمين
أو المفضوب عليهم من الرمايا

وقد أذاق الملك بدرو عذابه
بعض هذه الألوان من التعذيب ، ثم
أمر بأن يفتح القبر ، قبر الزوجة
المقتولة التي دلت قبل ذلك
بستنتين ، وأن تخسج منه الحثة
التي تطرق إليها الفناء ، وأكب عليها

خارجيا وعلم الملك بما حدث ، فقرر
أن يتخلص من المرأة بآية وسيلة
عن الوسائل وحرقه خصصوم
أبنة ، بل خصوم أسرته على الأصح
على المص في تنفيذ انتقامه ، وادخلوا
في روم ان اينس ، الشقيقة التي
أصبحت زوجة صرية ، عازمة على
قتل الملك لكي يمتلي العرش حبيبها
وتصبح هي ملكة على البرتغال
واقتنع الملك !



وذلك يوم ، ذهب إليها ومعه
اثنان من الأشراف الذين حرقوه
عليها ، وطرق بلها فتحت له ،
وكان معها ولداها الصغيران ، من
زوجها بدرو

نظر الملك إلى حبيده ، فرق
قلبه

طلب منها أن لينجد عن أبيه في
وقال لها أنه كان مازما على قطعها
ليفسل بدلها المار الذي لحقته
بأسره ، ولكن مرأى العظمين جعله
يصسل من عزمه ، على شرط أن
تبتعد وتختفي من طريق أبنة

وعنده السكينة بأن تفكر في الأمر
ولكن ، كيف السبيل إلى اقناع دون
بدرو بأن يتخلي عنها ؟

جملت تفكر في الأمر ، كما وعدت
الملك . وفي الوقت نفسه كان
الشرقيان العدوان قد عزموا على أن
يتما ما أصبح منه الملك فقتلها

بضمها بالقبلات ثم امر بأن تزين
الجثة بالتيب والحنى ، وتوصف
على مقعد مستطيل ويرى الإشراف
أهلها ، وفي مقدمتهم الشريفان
المدينين ، ويقبلوا يسعا ، كما لو كانت
حية جالسة على عرش

أرادها أن تكون ملكة بعد موتها
لأن أباه حال بينها وبين جلوسها
على العرش وهي على قيد الحياة
وأعلن الملك يلدو أن زوجته التي
ماتت قد أخرجت من القبر ، وأن
كانت لم تبعث من الموت إلى الحياة ،
وقرر أن تكون ، وهي ميتة ، ملكة
على البرتغال ، تشاركه العرش ،
وتقبل التحية والإجلال ، وخضع
الشعب البرتغالي لأرادة ملكه ،
وبعد أوامره ؟

وكان العلماء قد حفظوا الجثة
بقدر ما سمح لهم ممرهم بالتحيط
في ذلك الوقت . ونوات **الجثة**
عرشا بجانب مرش الملك

ومر الزمن والملك برغم الثنا
على السجود أمام الجثة المنسوجة ،
وتقبيل يديها ، ومخاطبتها كما
تخاطب الملكات ، وظن الناس أنه
مجنون . ولكنه لم يكن مجنونا .
كان أمماله كملك ، بالنسبة إلى
إدارة شؤون الدولة ، وتنظيم
أحوالها ، ورسم سياستها ، وقبلة
الجيوش في الحرب ، كل تلك الأعمال
كانت أعمال رجل عاقل ، بعيد
النظر ، عالي الهمة ، أمين على مصالحه
شعبه

ولم يكن أصدقائه ، وأهله ، من

أقنعه بأن يعيد الجثة إلى القبر ،
فأعادها ، وشيد على الضريح نصبا
« تذكيريا » يخلد اسم الملكة التي
توجها بعد موتها
وأصدر الأوامر الآتية :

« عندما يحل أجلى ، لابد أن
أدفن في الضريح الذي ترقد فيه
المرأة التي أحببتها . لتوضع جثتي
أمام جثتها ، بحيث تكون قدمي
ملاصقة لقدميها ، من الطرفين ،
حتى إذا ملجأ يوم البعث ، وبهض
كل منا في مكانه ، وحده صاحبه ،
وجها لوجه فتكون أول نظرتي لها ،
أينس وأنا ، نظرة حب وهيام ؟ »

عاش يلدو الرابع ، زوج أينس
ذي كاسترو ، ٢٢ سنة بعد وفاة
زوجته ، وظل يذكرها ، وينسحب
حظه وحظها ، ويبكي كلما لفظ أحد
اسمها لانه ، ومات سنة ١٢٨٧ ،
ودفن حسب وصيته التي أعادها
قبل موته ، وجثته ترقد اليوم في
ضريح واحد مع أحسناء التي جعل
سها ملكة بعد موتها

والزورون الذين يمدون أمام ذلك
الضريح ، يقعون خاشعين ، ينظرون
إلى البلاط الذي يطرق القبر ، وإلى
التمثالين اللذين يحملان البلاط ،
ويقراون الكتابة المنقورة على الفوحة
التذكيرية

إن هذه الكتابة المنقوبة تروى
أروع قصة غرام عاشها ملكان ،
وأعظم دليل على الوفاء لمطاة ملك
ملكته ، بل رجل لامرأة ، وعاشق
لمشوقة

ليدي هاميلتون المرأة التي سحرت الجنرال ناسون

كنتت نجمالها كثيرا من
الرجال فتراموا عمل
انفسها ، ولكنها احب
في حسانها مدين حيا
ملك علما فليها ..



الى النساء الثلاث اللاتي احطن بها ،
هوراتيا ابنتها والمرعنة وصاحبة
المزل ، وطلبت منهن ان يفسدن
الفرقة ، وان يتركنها وحدها
كلت الحياة الحافلة بالمغامرات ،
وكل متع الدنيا على وشك الزوال !
وها هو ذا نجمها الذي تالق في
كبد السماء حقبة طويلة من الزمن ،
قد آذن بالانقراض والعيب ، وسينساها
الناس ، كما نسوا من سبقوها ،
وستطوى ذكراها في نهر سحيق
وملأت بها الذاكرة الى الماضي

في
غرفة خضراء في شارع
فرانسيس بمساء كاليه
الفرنسية ، كانت امرأة بديعة تنقلب
على فراشها وهي متدللة بشطائها
الرت البالي ، وقد مسحت الكهولة
والمرض والفقر واللام من وجهها
ذلك الجمال العلاب الذي اشتهرت
به في جميع ارجاء أوروبا
كانت هذه المرافعة «اماهاميلتون»
وكانت مشرفة على الموت ، ولم يكن
يفالجها شك في دنو اجلها ، وانها
ملاقية ربها بعد قليل . ونظرت

الذي حفل بالذكريات الجميلة البديعة
ذلك الماضي الذي ارتفعت في خلاله
من العمول إلى أوج الشهرة والمجد ،
ثم انتهى بها إلى هذه البتة الخفية ،
في غمرة درية قلوة ، تخايلها فيها
الانسباح الساخرة

وكرت بها الفكرة إلى الماضي
الموغل في القدم ، إلى تلك الأيام التي
كانت فيها فتاة صغيرة ، لم تشب
من الطوق بسد ، ومع ذلك كانت
تغيب بقلوب شبان قريتها هولنديين
أحدهم قرى سيشين ، وكان أبوها
حناءا ، غير أنها لم تستطع يوما أن
تذكر من أيها شيئا ، لأنه قضى
نحبه وهي لا تنفك طفلة صغيرة .
ولكنها تذكر أنها تعلم . لقد كانت
تعمل طاهية ، ولما بلغت الرابعة
عشرة أختها أمها ببعض الأعمال

تلك أيام لا تذكر منها إلا غروبا
من الصبغ العابر ، ولكن حباتها لم
تلبث إلا حين تلفت السابعة عشرة
ورحلت مع أسرهم المذكورين « هـ » ،
واشتغلت مربية أطفال

وأفتر نضر المربية عن بسملة
خفيفة لهذه الذكرى . أنها لم تنجح
النجاح المنشود كمربية أطفال ،
فقد بهرتهم بالنسب بما احتوت من حكايات
كثيرة فضحة ، وسيدات جيلات أنيقات ،
وأهم من كل هذا أولئك النسب
ذوي الرشاقة والناقة

وما كان أسرع « أما » في أن تفرك
أن جمال كثير من السيدات الجميلات
كان يتضائل ويغبس إلى جانب
حسنها الوضاه . ولشده ما كان

يسرها حين ترى رفقاء هائيك النشوء
يكترون من النظر إلى تلك المربية
الخبيرة ، والتطلع إلى جمالها المشرق
ثم تنقل بها الحظ ، فأصبحت
بائعة في حانوت ، وأنها لتذكر تلك
السيدة الجميلة التي أقبلت على
الحانوت الذي كانت « أما » تعمل
فيه ، فانتزعتها منه ، ولحقها
وصيفة لها ، وإذا ذلك فتفتحت عيناها
على الكثير من الأمور ، وعلى أسرار
لم تكن تعلم بالوقوف عليها . وأنها
لتذكر الكلبين « جون بين » حين
أقبل عليها بمأزلهما في رفة وهي
الوصيفة ، علم لتردد ، وأسلمته
فيادها ، وكانت في الثامنة عشرة

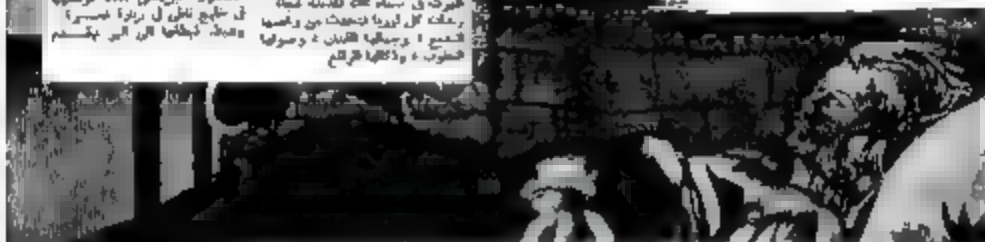
وأنت المربية أنة خافسة حين
تذكرت أول طلة لها ، وكانت قد
أسمتها « أما الصغيرة » ، وقد
توفيت وهي في الرابعة والعشرين

ووجدت الوصيفة نفسها في مأزق
خطر . كانت أبوتها قد بدأت
تتعجز لجمالها يزدهر ، حين
أصبحت لها ، فاندفعت في مغامرات
كلها استهتار عظيم ، وخفة بالغة ،
تبيع جمالها ونفسها في غير تحفظ

ورآها السير هاري فيوز مستهوا
في معرض جون جراهام ، فحملها
إلى منزله في ساكس ، وموت أيام
وشهور حفلت بالمغامرات القرائية
الطبيقة مع بعض أصدقائه السير هاري
أنها لتذكر مبلغ استهتارها في تلك
الأيام استهتارها الفزع حاميها فطردها
وهي توشك أن تصبح أما للمرة الثانية
ولشد ما أحزنها ما آلت إليه

[illegible]

و فرقة طلبة في خروجهم من
المدن والقرى إلى المدن والقرى
للمدرسة في جميع أنحاء

[illegible]

يد أن الأيام والشهور مرت بها
دون أن تنسى القبطان نلسون ، بل
لم تستطع أن تنساه ، لأن المواقع
الحرية كفت لتوالي بعضها في الز
بعض ، وفي كل موقعة يعلو اسم
نلسون ويرتفع نحو الجوزاء شيئا
مشيئا ، ويرتقى من درجة إلى
درجة ، وينقل من نصر إلى نصر
ثم تولى الأميرال

السفير هوراثيو
نلسون موقعة
البل ، وانتصر فيها
الانتصار العظيم وفي
احتياج شديد
استقلت اليبدي
هاملتون مركبة
محمة ، ووضعت
على جينها تلك
الكلمات « نلسون
والنصر العظيم » ،
وراحت تجوب
سوارع نابلي

أ وخرجت نابلي
من بكرة أبيها وفي
مقلتها الملك
والملكة والسفير

البريطاني وزوجته في الزوارق
لاستقبال ذلك البطل الظافر
ولم تستطع اليبدي هاملتون
صبرا حتى يحاذي زورقها البارجة
الحرية ، بل مجلت بالوتوب إليها
وكلت قد اقتضت خمس سنوات
على آخر مرة وأنه فيها ، فولبت
إلى سطح المركب حيث وقف نلسون

نعيته واحترامه إلى السفير
البريطاني السير وليام هاملتون
وكان القبطان رجلا ضئيل الجسم
ذا وجه طويل نحيل ، ولكنه كان
مريض الجبهة ، ثابت النظرات ، قوى
الشفاء ، وكان إذا تكلم سمعت لهجة
الرجل الذي يحكم ويتسلط ، وكان
اسمه هوراثيو نلسون

ومكت نلسون
بضعة أيام في
ضياحة السفر
وزوجته اليبدي
هاملتون التي مدته
ضيفا ملدا من
الوهلة الأولى ،
ولكنها الفت نفسها
تعجب ثقة ذلك
الرجل بنفسه ،
وعظيم تقديره
لشخصه ولوطه

ولما رحل نلسون
قال هاملتون

هذا القبطان
الصغير الثمن
مجهول اليوم ، لا
يذكره انسان ،

ولكن تذكرى كلانى يا مريزى ،
فاننا سنعيش حتى نراه واحدا من
عظماء الرجال

وأومات زوجته إليه براسها في
سمت ، وهي تعجب للفراغ الذي
تركه ذلك الرجل في قلبها بعد وحيله
ولكنها اعتقدت أنها في خلال أيام
ستسأه وستنسى كل شيء عنه



يبدي هاملتون ... القبطان نلسون



ليلى هاملتون : صورة أخرى لرومي

أنها لا تستحقه ، وأنه رجل عظيم ،
أما هي فامرأة حقيرة مدمنة

فمر أنها ظهرت به في النهاية في
تلك الرحلة البحرية من نابلي إلى
مالطة ، وكانت الظروف قد مساعدتها
كان قلبها مثقلاً بالهموم ، فقد
كانت تعرف أن فلسون سوف يلعب
إلى مفارقاته البحرية في وقت
قريب ، وأنها قد لا تراه مرة أخرى
مدة أعوام طويلة ، وكانت في أواخر
عقدتها الرابع ، وبدأ جسمها ينمو
ويرداد ببطء وترحلاً ، وميزداد
بدانة على مر الأيام ، وزوجها الكهل
المريض لن يبقى طويلاً
ورأت نفسها بمن الغيـلال

بين ضباطه ، ثم وقفت في لزج
ورعب ، فقد وجدت كما من كمى
ثوبه متدلياً إلى جانيه ، ووجدت
ميناء غائرة ، فصاحت :

— أوه أيا إلهي ! أهذا ممكن !

ولسكتها هي التي قادته إلى
الشاطئ بين مظاهر المعاورة الرائعة
وهي التي تولت معالجته وعمرضه
وهي التي ظلت تتركب معه إلى كل
جهة ، وتتناول الطعام معه ، وترحل
معه الرحلات الجميلة

ومضى الشهر إثر الشهر حتى
أصبحت قصتهما حديث كل صالون
في نابلي ، وفضيحة في لندن ، وأحضر
الأنباء في كل قطعة من قطع الأسطول
بيد أن الليدي هاملتون كانت
تعلم أنهم جميعاً قد انحطوا إلى
الكبر ، فاتها وإن كانت قد تهتبت
نفسها لأمر قلب ذلك البطل العظيم
الذي أصبح أكبر شخصية في تلك
الأيام ، وقضت لثمانية عشر شهراً
تعالج اقتناص قلبه ، إلا أنها فشلت
الفشل المزمى . كانت على يقين
أنه يجب بها بل وبحبها ، ولكن
وفاءه لزوجته ، ومبادئه الدينية ،
وعظمته النفسية ، حالت بينه
وبينها ، ووقفت حائلاً منبها . وكم
من مرة كانت تعترف فيها لنفسها

وقد أصبحت امرأة بدينة قد ذوى
جمالها ، وخبا حسنها

وانشطرت خواطر نلسون كذلك ،
فلم يكن قد رأى زوجته منذ
خمس سنوات ، وعلى الرغم من
وفائه لها فقد كان يرى صورتها
تخبو وتتلشى الى جانب صورة
اليدى هاملتون الفتاة الجميلة التى
لازمته مدى ثمانية عشر شهرا

وشهد القمر فى تلك الليلة أول
آيات الغرام ، بين بطل تلك الساحة
هوراثيو نلسون وبين بطلة الحسن
والجمال اليدى هاملتون



وتذكرت المريضة للنفقة الاموام
السعيدة التى ظلت تلك الليلة ،
وتذكرت هوراثيا الصغيرة التى
اعقبتها من عشيقها فى العلم التالى ،
ثم موت زوجها بعد عامين اثنين ،
لزوجها الذى ظل حتى مماته يعتقد
فى طهرها وعفتها ، ولهذا خلف لها
ايرانا سنويا قدره ٨٠٠ جنيه

وتذكرت موت الطفل التالى الذى
اعقبته من نلسون ، واتصال نلسون
من زوجته المتكبرة التى ظلت تعب
زوجها حتى بعد الطلاق

وتذكرت الى جانب كل ذلك فرديلد
غرام نلسون بها ، واشتداد أوار
حبها لها ، ورجلها معه الى منزله
فى ميلون ، وحديثه معها وهما

يسيران جنبا الى جنب على البساط
الاخضر فى حديقة المنزل ، من
اعتزله تولى آخر موقعة له ، وهى
الموقعة التى عرفها العالم باسم
موقعة الطرف الاخر ، وقضى نلسون
نحيبه فيها

وكان من جراء موته ان تجمعت
السحب فى سماء حياتها ، وعلى
الرغم من انها تلعت ايرانا سنويا
من نلسون قدره ٥٠٠ جنيه الى
جانب ارباح ١٠٠٠ جنيه خلفها
لابنته ، فقد صبتها الحاجة الى المال
فقلعت حتى تراكت الديون عليها
وظلت تقامر وتقامر ابتغاء الربح ،
ولكن السعد كان قد فارقها ولازمها
النحس . وكان جمالها يلدو على
مر الايام ، وظلت ثروتها تتناقص
شيئا فشيئا ، فبعثت الى صديقتها
الملكة كارولينا لتقص منها قرصا ،
نخبث الملكة املها ، ورفضت
ملتصسا ، فواتوجهها لسطر الحكومة
لتقص منها مئالا لها باعتبار انها
خدمت الحكومة الانجليزية ، ولكن
الحكومة ابت عليها ذلك

واقى بها فى غياهب السجن فى
النهاية حين لم تستطع سداد
ديونها ، وقضت فيه عشرة اشهر
وأخيرا قوت الى فرنسا

وفى تلك الفرقة الحظيرة كانت
تحتضن اكبر مغامرة عرفها التاريخ

١٠٠٢٠٢

يقول التاريخ في كثير من اليقين انها كانت امرأة فطنة ،
كانت ذات عقل راجح ، ودأى صليب ، وجودة وشجاعة

الزيباء ملكة تدمر

الحسناء العربية التي حاربت الرومان

محبب برأبك يا مولاي كل
أنتى الاصحاب . ويسعني منك
هذا اللكاه المؤفد وتلك الحكمة
التي تبيدنيها في آرائك «

فيسمت بسة خفيفة وقالت :
- أن الفضل يرجع اليك يا مولاي ،
فانت احكم الحكماء واعقل العقلاء ،
وما رابت منك ، منذ زواجنا الى
اليوم ، الاكل مايشير للاعجاب ، فانت
المنهل الذي انهل منه

لم اصبحت ابتساعتها وقالت :
- ألا تفس يا مولاي ان الحكمة
واللاطف ضدك

فانمجر الملك ضاحكا وقال وهو
طروب بعباسها وثلاثها وحسن
اسلوبها :

- بل لا تنسى انت ان الارض
الخصبة هي التي تثبت الفرس
وتتميه . انت بلزنوبيا درة في لاجن
كانت هي زوبيا او الزيباء ، ملكة
بالسرا ، والتي اصبحت بطلة من
بطلات التاريخ

وكان اسمها الاصلى سينيبياء زيباء
ووجد الملك اودينافس ان هذه
المرأة الرائعة في حسننها وجمالها



غير ان الملكة زنوبيا لم تمهله ،
وانتقلت لزوجها انتقاما قاسيا
وكان اولادها اطفالا صغارا لا
يصلحون لتولى الحكم ، فتولت الملكة
تربية من ابنها الاكبر « وهب الله »
وكانت تسميه كذلك « اثينودوراس »
وهو اسم يوناني ، ذلك لانها كانت
تعبد الالهة اليونانية وتعجبها وتكتب
بها - ثم انتهى بها الامر الى ان
اعطت نفسها ملكة على المملكة التي
ورثتها من زوجها

يقول بعض المؤرخين عن زنوبيا
انها كانت ابنة زعيم عربي اسمه
عمرو بن غاروب بن حسان ، ويؤرم
آخرون انها من اصل يهودي ،
ويستندون في هذا الى انها كانت
كثيرة المظف على اليهود في غضون
حكمها ، غير انها هي نفسها كانت
تؤرم انها من سلالة ملوك مصر
المصريين ، ولم يجرم المؤرخون
راي هذا الصدد ، ولهذا لا يمكن
القطع بحقيقة اصلها

ان كل ما يشته المؤرخون في كثير
من اليقين هو انها كانت امرأة فائقة
خطابة الحسن ، وانها كانت الى جانب
جمالها الفتان ذات عقل راجع وراي
صائب وحكمة وذكاء متوقد ، وانها
كانت جريئة مقدامة ، وكانت تعبد
كثيرا من الالهة كالكلاينية ، لفة
الرومان ، واليونانية ، والمصرية ،
او بمعنى آخر ، كانت تعبد الالهة
الحية في ذلك العصر

وتوقد ذكائها ، وحسن ذهاتها خير
من تشركه الملك ، فتزوج منها ،
وكان في ذلك الوقت زعيما على عدة
قبائل في الصحراء ، واميرا مهابا ،
ولكنه كان الى جانب ذلك رجلا عظيم
الطموح ، قوي الجنان ، جريئا
شجاعا ، وما اتقضى وقت طويل حتى
اصبح اكبر ملوك الشرق

ولم يسع الامبراطور الروماني
حين ايقن ان اوديناثس ليس بالرجل
اللين ، وانه رجل يرهب جانبه ، الا
ان يحط به ، والا ان يتعاقده معه
في محادثة صداقة وود . ومن ذلك
اليوم اطلق على الملك اوديناثس لقب
« اجستوس قائد الشرق » ،
واجستوس هو لقب التمتع
والتبجيل الذي كان يطلق على ملوك
الرومان

واستطاع اوديناثس بمهارته
مع الرومان ان يفوز بانتصارات
عظيمة على شاه ارمين ثم واستطاع
ان يهزم جيوش الشاه مؤثمين في
يردها الى مقر دارها

وكانت زوجته الملكة زنوبيا تتابع
سياسته من كتب ، وتشترك معه
في كثير من الامور الداخلية والخارجية
ومعنى بالقول على كل التفاصيل ،
حتى حلقت امور السياسة ،
واصبحت يده اليمنى في كل شئ ،
وعضده المتين الذي يستند اليه

وتوفي الملك اوديناثس ، وتقول
الرواية ان ابن اخيه قد لبعه وهو
يقوم باحدى غزواته ، لسبب غير
معروف ، وربما كان طمعا في الملك ،

واغرا من صخاتها وكرمها والدفانها عليهم بالمال ، بل كانت تستقدم امثالهم من البلاد الاخرى ، وتجمعهم حولها ، رغبة منها في ان تودع العلوم والفنون والآداب في عهدها اما باليرا عاصمة ملكها ، والتي قيل ان سليمان هو الذي انشأها وسط الصحراء لتكون ملجأ للقوافل من وعناء السفر ، فقد بلغت في عهد الملكة زنوبيا من القوة والعظمة ما جعلها مدينة عظيمة ، وقبله الناس في الشرق والغرب ولم تكن الملكة زنوبيا بتجميل العاصمة بالعمائر المصممة والحدائق الغناء ، والشوارع الفسيحة المهددة ، بل اصبحت الى تحصين البلاد من غزو الاعداء ، فانشأت حصونا مديدة وصلت الى حدود كلدانيا وانسيرا وثيالا ، واعدت جيشا ضخما كبيرا مجهزا بالاسلحة

وفي عام ٢٧٠ ميلادية بعثت بجيشها تحت قيادة زابدا الى مصر فاحلها ، بدعوى ردها الى حظيرة روما

وكان ذلك في عهد الاسراطور كلوديوس الروماني الذي قبل هذا الوضع ولم يعترض عليه لم بدأت متعصب الملكة زنوبيا حين توفي هذا الاسراطور ، وخطه في حكم روما الاسراطور اودريان ، الا رأى هذا الاسراطور ان سياسة ملكة باليرا فيما خطورة عظيمة على وحدة الامبراطورية وان تم خطرا محدقا

ويغزو المؤرخون الثقافة انتصارات زوجها العديدة وتوحياته الجمعة ، حتى علا شأنه ، الى شدة باسها وحماقة رايتها وجراتها ، وخلوها من كل مواصل الضعف . ومن الثابت في تاريخها انها كانت تشارك زوجها في رحلات الصيد والقنص ، دون ان ترهب الحيوانات المتوحشة المفترسة

هذه هي زنوبيا أو الزباد ، الملكة التي تولت الحكم بعد وفاة زوجها ، واصبحت ملكة باليرا

وكانت اشد من زوجها طموحا ، فاعتزمت ان تحكم البلاد حكما يتميز من زوجها ويتفوق عليه ، فبدأت عهدها بان علمت رعيتهما بالعدل والقسااس ، وسلوت بينهما سيرة حكيمة ، فكانت اذا اضطرت ان توقع جزاء على أحد ، اضعفت في نفسها مواصل الرحمة ، واذا ما وجدت محالا للمعطف ، قاومت في نفسها هوان الجبروت والانتقام ، كانت تخطي الى احكامها عن المواطف التي تسمح بالحاكم وتخرجه من نطاق العدل والانصاف . كانت تحكم العقل والروية فيما تصدره من احكام دون ان يكون لمواطفها الشخصية تأثير عليها

اما في غير الاحكام فكانت شديدة المعطف على رعاياها ، لا تفرق بين امير وصعلوك ، ولا بين كبير وصغير كلهم سواء في نظرها ولانها امرأة متفقة فقد نلل العلماء والادباء والفنانون نصيبا

بالسراطينية ، وانه اذا لم يوقفها
عند حدها ، فان امرها سيستفحل
وتصبح في موقف قد تملى فيه
شرورها عليه

□

من اجل هذا اعد اورليان جيشا
لجبا اتجه اول ما اتجه الى مصر
فاستعادها بقيادة قائده بروباس في
اواخر عام ٢٧٠ م . وفي اواخر عام
٢٧١ م تولى اورليان نفسه قيادة
جيشه وسار به في سهول اسيا
الصغرى ، واستطاع في سهولة ان
يتخطى الحصون التي اقلتها الملكة
زوبيا حتى وصل الى انتيوك
واقبلت النكر الى زوبيا تقول ان
اورليان في طريقه الى العاصمة ، ثم
اقلت رسل الامبراطور موفدة من
قبله الى الملكة ، فدمتهم الى اللؤلؤ
بين يديها وفات لهم :

— انى مصيبة الى رسالة مولاكم
فقال رئيسهم :

— منذ اعوام طريقة ، وفردية مضر
والشرق ترسل الى الخزائن الرومانية
فكنها تحولت في عهدكم الى خزان
ا ، فقد كانت مصر وسورية
ولغيرهما من الاملاك الرومانية ، ولم
تكن ملكة بالمرأ الا ملكة على المسرا
فقط ، ولكنك اليوم ملكة على بالمرأ
مصر والشرق ، واطلقت على نفسك
لقب اوجستيا الامبراطورة الرومانية ،
والبت اولئك لباس القباصة ،
لذا كان الامبراطور السابق قد امر
هذا الوضع وسمح به ، فان اورليان

الامبراطور العظيم لا يسمح به . ومع
احترامه واجلاله لمظنة زوبيا
وذكاتها ، فان واجبه نحو مجده
الامبراطورية الرومانية يدعو الى
ان تعود الامبراطورية الى حدودها
التي كانت عليها في زمن انطونيوس

فقال في صوت هادى ولين :

— لقد تكلمتم في وضوح كما يجب

على الروماني ان يفعل

لم اقلدت عيناها بالكبرياء ،
واستطردت قائلة :

— والان فاستمعوا الى ، وانقلوا

ما تسمعون الى موفدكم . قولوا له

ان الامبراطورية التي ارتقيت مرشها

قد صافها زوجى معى ، فهي ليست

منحة ولكنها ميراث وغزو ولعلك

وقولوا لمولاكم انى كما عشت ملكة ،

فانى ساموت ملكة ان شاء الله ، واذا

كان الامبراطور اورليان طموحا فانى

مثل طموحة ، اطمح في امبراطورية

اكبر (وفي شهرة اوسع ، وفي حب

رعمى لى

وعرفت الرسل ، وبدأت تستعد

للدفاع عن ملكها ، لم آلت الا تنتظر

حتى ياتي الجيش الروماني الى ديارها

بل جهزت جيشها وبعثت به تحت

قيادة زابدا ليعيق تقدم الجيش

الروماني ، ويوقفه عند حده ،

والنقى الجيشان في معركتين ، وكانت

زوبيا تغامر بحياتها وسط المعركتين ،

ورغم ما بذلت من جهود مضنية فقد

هزمت في كلتا المعركتين قرب اميسا

(حمص الآن) ، واضطرت الى

التراجع الى بالمرا عاصمة ملكها ،
وقامت بتشيه التحصينات القوية ،
وعادته فنارلت جيش اورليان من
بروجها فهزمته في المعركة الاولى
حتى لم يسع الامراطور اورليان الا
ان يكتب منها :

« ان الذين يتعدون باحتقار
واستخفاف عن الحرب التي خضتها
ضد امرأة ، يجهلون طبيعة زنوبيا
وقوتها وشدة مراسها ، فلن من
المحال ان يحصر استعدادها الحربى
من حجارة وسهام ومن مختلفات انواع
الاسلحة وادوات الحرب »

وحاصر اورليان المدينة ليمنع منها
المؤونة ، وادركت الملكة حرج موقفها ،
وان المدينة ستسلم في وقت قريب
اذا لم تلت نجدة لها من الخارج

ومما يدل على قوة جنان هذه
الملكة العظيمة وشدة بأسها وجراتها
انها تكررت في الفرار حسنة من
المدينة والذهاب الى ملك القسوس
لطلب نجدة منه فتفقد بها بلانها
ولكن الصبور التي كانت تترصد حركات
اهل المدينة راتها وهي متمطبة
حوادها ومطلقة في طريقها الى
بلاد انفرس ، فتبعوها واسروها على
شواطئ نهر الفرات
وجبىء بها اسيرة امام الامبراطور
اورليان فسالها :

— كيف تجرؤين على تحدى
سلطة روما ؟

فاجبت في شمم :

— انى لا اقبل الخضوع لاحد .
اما وقد استطعت ان تأسرنى فلا
يسعنى الا ان اخضع لك كعالم

وطلب العيش منه قتلها ولكنه
اتقى عليها لتكون مظهر انتصاره
العظيم حين يدخل روما

واخذ طريقه الى روما ومعه
زنوبيا ، مبقيا على جانب من الحرس
في بالمرا ، غير انه مأكلا يتعد قليلا
حتى بلغه ان ثورة قامت في بالمرا ،
فعاد افراجة وخرب المدينة وجعلها
اطلالا

وقد اختلف المؤرخون في امر
حياتها بعد الاسر ، فقال بعضهم انها
اضربت عن الطعام حتى ماتت ، وقال
البعض الاخر ان الامبراطور وجها
دارا فسيحة بحديقة غناء عاشت
فيها وهي موضع احترام واجلال ،
وانها زوجت بناتها من اشرف
العائلات الرومانية ، ولن ابنتها صر
ملكة على جزء من ارمينيا

والقول الاخر هو الذى يؤكد
المؤرخون

والتاريخ لا يذكر الا القليل التائه
من حياتها الشخصية ، بيد ان الذى
قيل عنها ان ملكة كانت شديدة
البأس ، وترملت وهي لا تنفك في
اوج شبابها وجمالها ، لا يمكن ان
تحرم نفسها من متع الدنيا ، فكان
لها عشاق تغفلوهم لنفسها ،

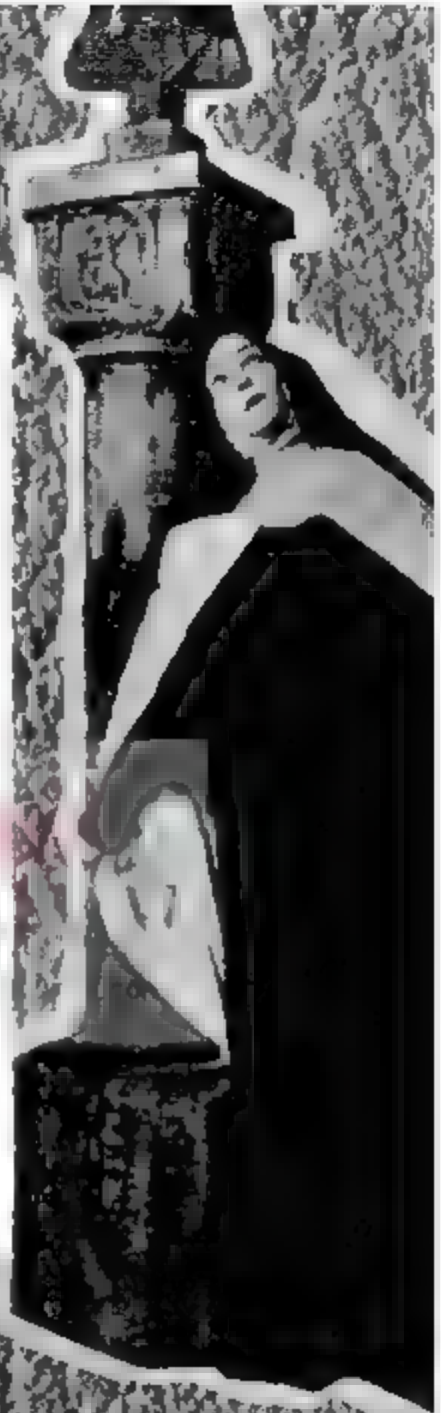
وتستمتع بهم سرا في غير علانية رغم
انها كانت تحكم بلادها بيد من حديد ،
ولا تخشى لومة لائم . فقد كان الحكم
عندها في المقام الاول ، اما الحب
والفرام والمتعة فالمرحاض حين يمكن
الظفر بها في ستر وسلام

سارة برنار

قلم الأستاذ أحمد عبد القادر المازني

حاجت حولها تشبهات ، وطوقتها
الريب ، واتهمت بأنها
استطاعت أن تفتن الياب الكثيرين
من عظماء الرجال في عصرها ،
وتستهوي قلوبهم ، وكان من بينهم
قيصر روسيا وناپليون الثالث ،
والابا يوس التاسع ، وان كثيرين
من أغرضت عنهم آثروا الموت
انتحاروا وفضلوه على الحياة بعيدا
عنها - معرفة عنهم

وقد تألفت طوائف من النساء في
شبه جماعات في كل مكان كانت تسيل
به **ساره برنار** لحماية الأزواج والابناء
والأخوة من عت بيت هذه المرأة الطاغية
الموت ، ومن فسدتها وسحرها الأسر ،
ومن المرجح أن لا تنكشف حقيقة
المبررات لكل هذه الاتهامات التي
أصبحت على رأس هذه المرأة من كل
صوب ، ولكن الذي لا ريب فيه ولا
جدال البتة أن **ساره برنار** الممثلة
الفرنسية التي تآلق فنها والإدهش
خلال خمسمائة عام على المسارح
الفرنسية كانت خليفة وبلا أدنى



ساره برنار في دور راحيه

فاتنة المشرق



شكك امرأة ذات حسن خلاب ، وفطنة
طاغية ، وجاذبية قاهرة ، وجمال
ساحر ، الى جانب عبقريتها الطبيعية
وسبطل اسم ساره برنار مقرونا
على مر النحور بمقبرة التمثيل ،
وربحة المسارح لدى رواد المسارح
في جميع انحاء العالم
فمن هي تلك المرأة التي يمدونها
كليوباترا الفرنسية ؟

والى العناصر استطاعت ان تتألف
وتتفهم وتتفاعل . ثم تشرح في
النهاية مثل هذه المرأة العجيبة ؟

ليس من السهل الرجوع الى ماضي
ساره برنار ، فانها كانت تحف نفسها
بما تختبره مخيلتها ، وقد قال احد
مديرى المسارح الباريسية في هذا
الشأن قوله المشهور : « ان ساره
برنار تغير أسلافها كما تغير ثيابها .
ار كما تغير ارواحها التي مدور فيها
حلال أدوارها »

على ان البيانات الأخيرة التي يمكن
الاعتماد عليها تذكر ان جدتها لأمها
كانت فتاة من أسرة طيبة من بلدة
« بريتون » . وأن هذه الفتاة أحبت
« البقية على الصفحة التالية »

ساره برنار تلبس التمثيل

تخشى بأطرافها المعتديات عليها ،
وتنطق بالفاظ لم تسمح قط في ذلك
الدير ، فكانت الراهبات يرششنها
بالماء المقدس لطرد الأرواح الشريرة
التي تحتل جسمها ، وتضعها إلى
التقوى بمثل تلك الالفاظ المعيبة

وحانت فرسة ذهبية لظهور
مواهب تلك الفتاة الشريرة على
المسرح ، فقد أعدت راهبات الدير
تميلية صغيرة لتمثيلها في حفلة
أقامتها لتكريم أحد المطارنة عند زيارته
للدير ، وفي اللحظة الأخيرة أصيبت
الفتاة التي كانت مستقوم بالدور الأول
في هذه المسرحية بفزع ورجفة حالا
دون قيامها بدورها ، فتنقلت ساره
وتطوعت بالقيام بهذا الدور ، ولضيق
الوقت لم يسمح الراهبات إلا القبول ،
فقامت بالدور ، ونجحت فيه أيضا
بحاج

غير أن الراهبات برغم ذلك رأين
أن ساره برارستفسد أخلاق الفتيات
الأخريات وتوسيع بينهن الفوضى
والالفاظ السابية ، فقررن طردها ،
وبعثن بها إلى أنها

وعقد مجلس عائلي ، وراح كل
فرد من الأسرة يتلمح عن أخذ ساره
عنده ، ويأبى حمل هذه التبعة ، وحين
أعيتهم الحيل أخيرا استقر الرأي على
ادخالها معهد الموسيقى

ولما تخرجت ساره في المعهد ،
استخدم الدوق دي موري لظوه ،
فألفها بفرقة الكوميدي فرانسيز ،
ولم تقبل ساره الأدوار الثانوية ،
التي كانوا يفرضونها عليها ،

طبييا شايًا ، وعاشت بهواه ولم
تستطع عنه بعدا ، فلما رحل إلى برلين
تبعته على الأثر ، وعاشت في كنفه ،
واعاشت منه فثقتين هما « جوليا »

و « رورين » ، وقد نكبتا بوفاة
أبهما في سن مبكرة
وكان الأب قاسيا غليظ القلب ،
فلم تحتمل المصانين العيش معه ،
فهربتا قبل أن تبلغ الخامسة عشرة
من عمرهما

والدلت الفتاتان بحكم هذا
التشرد في مغامرات فرامية متتابعة
في باريس ولندن وغيرهما من المدن
الكبيرة

وكانت ساره برنار ثمرة إحدى
هذه المغامرات عام ١٨٤٤ ، وأما
هي جوليا صغرى الاختين ، ومن
المرجح أن أباهما كان ضابطا بحريا
أو تاجرا في مدينة الهافر ، وقد ترك
لابنته بعض المال عند أحد المعلمين
لينفق منه عليها حتى تنال قسطا من
التعليم

وكانت أمها جوليا تهوى الرحلات ،
ولا تحب أن تحصل منه ابتها ،
فأودعتها عنصرية مدة ثلاث سنوات
أو أربع ، ولا بلغت سنوه الثالثة
عشرة من عمرها ، أدخلتها أمها ديرا
في جران شاب ، وما أن حلت ساره
بين أترابها في الدير حتى رابنتها
أعجوبة ، ينظرون إليها في دهشة ،
ويعمن حولها كأنما هي ليست فتاة
مثلهن ، ومن أجل شهرها المجد
المشوش أطلقن عليها اسم « الزنجية
البيضاء »

والطلقت هذه الفتاة المجيبة

يشيدون بذكرها والثناء عليها حين بلغت أوجها في تمثيل مسرحيات شكسبير وراسين ، وانضموا في حفاة بالغة في المهار اعجابهم بها كمثلة بارعة وكامرأة ساحرة

وكانت سارة تسبح في الريف عام ١٨٧٠ حين تنافى اليها نيا الحرب الفرنسية الالمانية ، فاسرعت بالرحيل إلى باريس ، وبدأت تلك المرأة المرضة في انشاء وحدات طبية للجيش ، وفي جمع التبرعات ، وفي الترفيه عن الجنود

وبعد عام وقعت حادثة صغيرة ولكنها كانت مفتاح التطور في حياة هذه المثلة الفرنسية المحببة ، فقد كاد يلقى عليها وفي جالسمة على المائدة بين شيفتين طويلتين يدينتان إلى جسد كبير ، حتى ضاقت ذرعا وأحسّت أنها تكاد تختنق ، ولكنها احتملت في صبر وجلد هذه الضائقة التي كانت تمزق روحها ، فكان من أثر تلك الحادثة الصغيرة أنها إذا تلو احتياجها فانها تطرب بقوالين التمس والراحة عرض الحائط

وعادت أبواب الكوميدي فرانسيز لفتحت لها على مصراعها بعد نجاحها المتقطع النظم في بعض المسارح الصغيرة الأخرى غير أن مدير المسرح كان من طبيعته أن يطيل فترة الراحة لكل ممثل حتى لا يرهق بالعمل فلا يجيد ، فلا يجوز مثلاً أن يقوم بدورين في روايتين متعاقبتين ، ولم تستطع سارة أن تبقى مدة طويلة خاملة بغير عمل ، فشرعت في الرسم والنحت ، وأقامت معرضاً

ويصفون بها إليها ، فاستغنت المقعد المبرم بينها وبين الفرقة ورجلت إلى اسبانيا

ولما عادت إلى باريس سبكت في حياتها مملكا شبيها بمملك أمها وخالتها تماما

كانت مثلة في جميع العمر ونظرة الصبا ، فتاة المحامن جلابة ، لا تمثل في مسرح من المسارح ، ولكنها تظهر بانتظام في أرقى النوادي الليلية ، وكان معها في ذلك الوقت مقصورا على ولادة ابنها الذي أسمته موريس ، فلم تكن بالبحث عن عمل

ومنذ ذلك اليوم أصبحت مساره أما تكرر كل جهودها ومساهاها لذلك الابن

ودفعها حوها الاموى العظيم إلى أن تمنى عناية جديّة بالتشيل ، وتمكنت بوساطة بعض اصحاب النفوذ أن تلتحق بمسرح « اوديون » فدرت مواهبها لا وليرة ، وكان اسمها يرونها شابة مية نعيمة القد ، طوبلة القامة ، ترتدى ثيابا مبتكرة ، ووصفها كاتب كان عظيم الاحسام بأمرها فقال :

« ان ساره برنار عجيبة حقا ، تعمرها ألف حالة في اليوم الواحد ، فتفطس وتثور أو تفرح وتسرح كل من كان حولها ، وهي قادرة في أي وقت على أن تتحكم فيهم جميعا بذلك الرميض المتغير الذي ينبعث من عينيها العجيبتين ، ويصوتها الموسيقي الخلاب »

وانطلق طليسة إلى اللاتيني

الصحف والمجلات متابعين لالتقاط الصور ، وأخذ أحاديث ، وكان ذلك كله لأن كتيباً ظهر قبل وصول الفرقة عنوانه « غراميات ساره برنار » وفيه قصص عن شخصيات مألوفة عديدة استطاعت الوصول الى غرفتها الخاصة

ومن اطراف ما حدث أن اسقف شيكاغو ثار ضد ساره برنار ، والتي خطبا ندد فيه بهذه الفرقة وبالمثلية المستهتره ، ونشر في الصحف مثل هذا التنديد ، فتسلم من رجال الدعاية بالفرقة رسالة هذا نصها :

« سيدى الاسقف

لقد اعتقدت عند حضوري الى مدينتكم العظيمة أن أنفق ٤٠٠ دولار في سبيل الدعاية والاعلان ، وبما أنك قد قمت بهذه الدعاية خير قيام **فاني أبحث اليك بمائتي دولار لتوزيها على القراء »**

واستطاعت ساره منذ الليلة الاولى أن تأسر قلوب الأميركيين بحسنها الوفاء ، ونها العجيب ، ثم عادت الى فرنسا بشرة طيبة

ولقد بمنها هذا النجاح الذي نالته في أميركا الى القيام برحلات طالت خلالها بجميع الاقطار الاوربية

وفي ايطاليا استبكت في مغامرة غرامية عنيفة مع ممثل يوناني جميل الطلعة ، ملتهب النظرات اسمه « دامالا » فتزوجته ، غير أن نيران الحب خمدت بعد بضعة أشهر فطلبت من دامالا أن يطرب عن أنظارها

لم تلاحظ طموراتها الغرامية وجان

خاصا بمحروضاها ، انها لم تكن تستطيع لاحتمال الضجر والسأم لهذا كانت ذات نزوات فحائية سريعة وعجيبة . وقد أرادت يوما أن تؤخذ لها صورة فوتوغرافية وهي راقدة في نفس .. فوق سرير ؟ نعم ، ولكن المرجح انها فعلت ذلك رغبة في التسلية والدعاية والتأثير في الناس

ورحلت ساره برنار الى لندن مع الفرقة ، وهناك ظفرت بالمشهورة العظيمة ، وأسرت قلب ولي العهد ، وبهرت أمالي لندن بشموسها التي لا حد له ، ولما وبنتها يوان مدير الفرقة على سلوكها الفساذ الذي أصبحت تلوكه الآنسن لم تتردد في تقديم استقالتها

وأستلمها العذر ، ونسلمت رغبة تدعوها الى رحلته تيشلية في أنحاء أميركا ، فلم تتردد لأنه لم يحالها شك في أنها ستنتال نجاحاً قريداً من وراء هذه الرحلة غل الرغم من في هذه التجربة من خطر على كل فنانة اوروبية



وكانت ساره في الواقع تقتصد كثيراً في هذه الرحلة على رجال الدعاية من الفرقة ، ولم يخبأملها ، وما أن وصلت الباخرة الى ميناء نيويورك وألقت مرامسها حتى لاحظت ساره أثر هذه الدعاية القوية

خرجت مدينة نيويورك في ذلك اليوم لاستقبال الفرقة استقبالا حاراً ، واجتمع مئات من متجبري

شيبان ، وشرفت في تمثيله على التمثيل ، ثم اشركته معها في تمثيل رواية « نانا صاحب » و « غادة الكاميليا » التي مثلتها مائة ليلة متتالية وقد بلغت فيها الذروة ، غير أن اخراجها رواية « ماكيت » مع اشراك شيبان معها استنزف كل ماله حتى اضطرت الى بيع بعض ثيابها ومجوهراتها ، فقامت برحلة الى شمال أمريكا وجنوبها ثم عادت الى باريس ، وكان حفلها يملأ أحيانا ، ويهبط أحيانا أخرى

وفي عام ١٨٩٩ رحلت ساره الى استراليا ، وجست من هذه الرحلة والرحلات السابقة لموالا مكنتها من شراء مسرح خاص بها ، واستقبلت فيه فناني غرباء أمثال لوفنچ ودبوس ، واكتشفت مواهب كثير من الفنانين الشبان واستخدمتهم ، وأجبت كثيرا من التمثيلات الرائعة الكلاسيكية

وفي عام ١٩١٢ أصرت على القيام برحلة الى ميادين القتال في الحرب العالمية الأولى رغم ما في هذا الرحلة من لتعاب والمشاق ، وقد ألهمت حاصية الجروح بعفريتها ولها الرقيق

وفي عام ١٩٢٢ عملت فيلما ، وأمام عيون الكاميرا القاسية قضت ساره برنار أيامها الأخيرة تخدم الآله الجديد - السينما - ألدورث مجدها الذي لا حيد له وعفريتها التي انفردت بها

كانت ساره برنار فنانة زائلة فلة ، ولكنها كانت الى جانب هذا كليونياتا فرنسا بجمالها الخلاب وحسنها الساحر وفرايماتها المنيفة وان كانت قد بليت غيرها في عدد المصين والمضائق

وفي عام ١٨٩٩ رحلت ساره الى استراليا ، وجست من هذه الرحلة والرحلات السابقة لموالا مكنتها من شراء مسرح خاص بها ، واستقبلت فيه فناني غرباء أمثال لوفنچ ودبوس ، واكتشفت مواهب كثير من الفنانين الشبان واستخدمتهم ، وأجبت كثيرا من التمثيلات الرائعة الكلاسيكية

وفي عام ١٩١٢ أصرت على القيام برحلة الى ميادين القتال في الحرب العالمية الأولى رغم ما في هذا الرحلة من لتعاب والمشاق ، وقد ألهمت حاصية الجروح بعفريتها ولها الرقيق

وفي عام ١٩٢٢ عملت فيلما ، وأمام عيون الكاميرا القاسية قضت ساره برنار أيامها الأخيرة تخدم الآله الجديد - السينما - ألدورث مجدها الذي لا حيد له وعفريتها التي انفردت بها

كانت ساره برنار فنانة زائلة فلة ، ولكنها كانت الى جانب هذا كليونياتا فرنسا بجمالها الخلاب وحسنها الساحر وفرايماتها المنيفة وان كانت قد بليت غيرها في عدد المصين والمضائق

كلن حبها شديدا على كل من خلق له قلبها ، وماتت
مفتولة بهد أن عاشت ودعه الفصحيا تهرق من حولها

القائلة المقولة

ماري ستوارت

بقلم الأستاذ حبيب جلماني

ولوردهات ، ليسوا غير طفلة من
السلامين النهائيين ، يحارب بعضهم
بعضا ، ولا تنفق كلمتهم الا اذا
قرروا محاربة العرش والجالس عليه
وفي الوقت الذي كانت فيه
المصيرة تمر بأوروبا ، فتمتدح عليها
الفنون البليغة ، وتنشأ المصارف ،
لم يكن سكان اسكوتلانده يعرفون
عمله ينمطون بها غير المواتي !

كان والد ماري ستوارت يملك
عشرة آلاف خروف ، ولم يكن عنده
خزينة للدولة ، ولا مال ، ولا جيش ،
ولا سلطة ، انه يطلب كل شيء من
فرنسا ومن البابا الذي كان يساعده
بالمال لكي يواصل الدفاع عن المذهب
الكاثوليكي في بلاده

غير ان ماري ستوارت ، منذ اليوم
الذي رأت فيه النور ، أصبحت
الخطيبة المرجوة التي يتسابق الي
طلب الزواج بها امراء أوروبا وملوكها
ان هنري الثامن يريد بها زوجة
لانه إدوارد ، ويرسل قوة مسلحة
للقبض عليها وجلبها الى لندن . ولكن

طالب ، ماري ستوارت ،
أن تظل طول حياتها ، منذ
الطفولة الى أن قطع رأسها ، في
صراع مع الحب والموت ، في أن معا
... لقد صاغتها ، وصاحبها ،
خلال السنوات الأربع التي عاشتها
في هذا العالم

كان عمرها خمسة أيام فقط ، في
شهر ديسمبر ١٥٤٢ ، يوم مات
أبوها جاك الخامس ، تاركا لها عرش
اسكوتلانده ومهمسة المحافظة على
المذهب الكاثوليكي المضطهد .

كان عمره ثلاثين سنة فقط
ولا آل العرش الى الطفلة الرضيعة ،
وحد ملك إنجلترا هنري الثامن ،
خصم أسرة ستوارت ، نفسه أمام
يتيمة مسكينة طبعها الشؤم بطابعه
وصف الكاتب الشاعر الفرنسي
رونسار بلاد اسكوتلانده في ذلك
الحصر ، فقال : « أنها بلاد متوحشة
يسكنها اقوام على جانب كبير من
الخشونة »

ان الاشراف والنبلاء من بارونات



جنود الملك لم يخطوها. فقد اختفت.
ولا أحد يعرف أين تختبئ. غير ملير
فرنسا ، الذي تمكن من ترحيلها إلى
بلاده، فأقامت في قصر سان جومان.
مقر ملك فرنسا هنري الثاني

وعندك رأت ولي عهد فرنسا -
فرنسوا - للمرة الأولى. كان عمرها
سنة أعوام . وكان عمره أربعة
أشهر هزيل ، صاحب اللون ، يحصل
في دمه لونة ورثها عن جده فرنسوا
الأول . وأصبح ذلك الطفل خطيبا
لملك الطفل !

إن حاشية ملك
فرنسا لا تتبل لها في
أوروبا كلها ، من حيث
التأنيق والبذخ ،
والنفس في أحباله

المفلات ، وإقامة الماريات الأدبية
أطلقوا عليها اسم الملكة الصغيرة ،
وعينت الأميرة المالكة بتريبتها
وتعليمها

توسعت ماري اللغات اللاتينية ،
والأفريقية ، والفرنسية ، والانجليزية ،
والإيطالية ، والإسبانية ، وطالمت
كتبها ومؤلفات لا عداد لها

أصبحت الطفلة شابة . وتبسط
مع جمالها صفات أخرى ، أهمها
الشفاعة والنبات . أما خطيبها ،
فإن صحته تسير عن سوء إلى أسوأ
مما جعل المستولون يستعجلون
الزواج . فإذ لم تزرقي ماري ستوارت
ابنا ، فإن عرش اسكوتلانده يؤول

إلى الأميرة المالكة بفرنسا !
وتدخلت الإقدار في الأمر

حدث في سنة ١٥٥٩ أن اشترك
الملك هنري الثاني في مباراة بالرمح
مع نبلاء المملكة ، فأصيب في عينه ،
وكانت الإصابة قاتلة

مات هنري الثاني وأصبح زوج
ماري ستوارت ملكا باسم فرنسا
الثاني . وكانت الفتاة في السابعة
عشرة عندما حصلت لقب ملكة فرنسا
واميكون ثلاثة !

ملكة فرنسا
برواجها من فرنسا ،
وملكة اسكوتلانده التي
ورثت عرشها عن
أبيها . وكانت تعلم

فهرت إلى التي حشود
القفرة ، وفهرت بكافيه
... وحيث الخاصة . لقد
أنتهى كل شيء ، وفهمت
الملكة كل شيء . . .

أيضا في احتلاء عرش إنجلترا بسبب
المنزوحات القائمة حوله بين أفراد
أسرة تودور وستوارت

وتصلت الانفطار مرة أخرى .
وما أكثر تلمذها في حياة ماري
ستوارت

ما مرت سنة على الزواج ، حتى
أخذت المرض على الملك فمات في ٢
ديسمبر سنة ١٥٦٠ بعد عذاب أليم .
وأصبحت ماري ستوارت أرملة ،
ولم تعد ملكة إلا بالنسبة إلى
اسكوتلانده . أما في فرنسا فلكد تول
الملك أخو الملك عملا بقانون الوراثة

كان يوم ماري ستوارت أن تقيم
في فرنسا طول حياتها إذا أرادت .
ولكنها أبت إلا أن تعود إلى بلادها ،



تلقتها من الأمير المالكة باسبانيا
والنمرك والسويد وغيرها ، ولكن
الحدف الى عليها فجأة يوم بلغت
الثالثة وأنضرن من العمر

والحبيا هو امير من أسرة
ستوارت ، يسمى « دارلي » عمره
تسع عشرة سنة ، على جانب
كبير من الجمال والقوة والأناقة ،
انه لا يقدم لها عرشا . ولكنها تعتبر
ان الحب امن من العرش

عهدت الى امين سرها الإيطالي ،
دافيد ريزيو ، بان يابها بالن
الزواج من البابا ، ولكنها لم تنتظر
عودته ، ففقدت الزواج حرا ريثما
تصل بركة الكنيسة من روما
وبلع الغضب اشده في صدر

اذ كيف يمكن ان ترضى بان تصح
في فرنسا المراء الثانية بعد ان كانت
الاولى

وامسحائب الملوك والأمراء من
أوروبا عرض الزواج عليها ، لكنها
آثرت الغريث والتفكير

في صيف سنة ١٥٦٦ ، عادت الى
امسكوتلانده ، لتلاقي فيها الماعب.
مقاعب سياسية ودينية ، تنبرها ابنة
عصها اليزابيث الاولى ملكة انجلترا ،
وعلاؤها في امسكوتلانده . وعلى
رأسهم « جون فوكس » رئيس
الكنيسة البروتستانتية التي كانت
في خصام مع الكنيسة الكاثوليكية
وقررت الملكة ان تقاوم وتكافح
رفضت عروضها أخرى بالزواج

قربيتها البرايت الإنجليزية ،
وحصنها جون فوكس

وانفتحت البرايت احوالا كثيرة
لاتارة النبلاء في اسكوتلانده على
ملكهم . فثاروا . لكن ملرى
ستولرت خلعت عنها ثوب النساء ،
وارتدت ثوب القتال ، ومشت على
راس ابائها ، وهزمت خصومها
وحطها الشعب على الاعناق ،
فالشعب يحب الجمال القرون
بالشجاعة

اما البرايت الإنجليزية ، فكانت
تعارب ملرى ستولرت لاسباب
عديدة ، احبها انها تؤيد المذهب
البروتستانتى ضد المذهب
الكاثوليكي ، وانها تطع في ضم
اسكوتلانده الى انجلترا . . .

كتب النصر لملرى في اول معركة
الزيتا ضد البرايت . ولكن
قلبا ظل حرة لتقلبات العاطفة
العيفة . . .

الرجل الذي احبته نجاة ،
وتزوجته ، دارلى ، هامى الان
لكرهه ، نجاة كما احبته . فقد
كان كثير الطليات ، متكبرا ، شديد
الادعاء ، لا ارادة له . . .

لم تمد تحبه . . . وشمرت بان
الرجل الذي يحب اليه قلبها هو
امين سرها « دافيد ويتزويو »

واندرك دارلى هذا الانقلاب في

عاطفة زوجته نحوه . وقرر ان
ينتقم ، فجمع اصدقاءه ، وحاجم
غريمه وهو في خلوة مع الملكة ،
وسقط المسكين مضرجا بدمه ، وقد
نظمت نصال السيوف جسمه اربا .
واقبت البنة الممزقة من النافذة .
واحتجج دارلى ورفاقه الملكة اسيرة
في حجرها

غير انها عرفت كيف تتخلص من
اللق

اقتضت زوجها بانها حامل ، وبان
موت الجنين في احتمالها يحرره من
ان يرى ابنه في المستقبل جالسا
على العرش . . .

واقنع الرجل ، وساعد زوجته
على الهرب من الاسر ، فخان اصدقاءه
بعد ان ارتكبوا جريمتهم من اجله

ولكن لرجل هدأت العاصفة التي
اجاحت قلب المرأة الغامرة !

لا . مات ويتزويو ، فوجلت لغيره .

لا تزال تكره زوجها ، بل ان كرهها
تضاعف . اما الحب ، فقد حرك
قلبا مرة اخرى ، وكان المشيق
المختل في هذه المرة من جنود
الحرس - « بوتويل » الذي لا يعرف
في الحياة رادعا والقوى الذي يمتد
ان كل شيء يتم بالعنف ، والملاحه
القاسي الطوح . . .

وانشدت عليه ملرى النعم بلا

حساب ...

غرفته ، كما بالنار التي خصصتها
له الملكة تهتز وتهلأ فقد نسفت ،
وكل الدلائل تدل على أن الملكة هي
التي لمزقت ذلك

أعطته الاموال ، والأراضي ،
والقصور ، ووضعت بين يديه
السلطة ، وملعته نفسها !

وفي اليوم التالي ، بكى ماري
ستورات ، وعلم الشعب أن طالك
عنرى دارلى ، قد مات في حادثة
أعرج ، وأن البحث يجري لمعرفة
الحاة

ووجد دارلى نفسه أمام غريم
آخر ، حل محل الغريم الذي تخلص
منه بالقتل . لكن بوتويل غير
رجزيو ! أنه رجل كفاح وعناد
وقتل . فقد أقام في اسكوتلاندة
تظلماً صارماً وحكماً رهيباً . وشعر
خصوم ماري ستورات أن هذا
حديدي حطت عليهم بالقالها

ولم يسفر البحث عن معرفتهم ،
طبعاً ، لأن الجناة هم أنفسهم الذين
كانوا يعرفون البحث . ولم يشك
أحد في أن الملكة قتلت زوجها لتتزوج
عشيقها بوتويل !

أن هذا الغرام بين الملكة ماري
ستورات وذلك الجلف الذي وقع
عليه اختيلرها ، من أقرب الملاقات
الغرامية في التاريخ ...

ولدت الخواطر ، وتطاهرت الملكة
بأنها مستحاکم بوتويل الذي يتهمه
الشعب بأنه هو الذي تولى نفس
الدار التي كان دارلى مقبلاً فيها ،
ولكن المحاكمة كانت مهزلة ...

أحبته حياً جنوباً . وأرادت في
النهاية أن تتزوج وتطليه على
العرش بجانبها ، ولهذا لم تترك
في التخلص من الزوج الشرعى ،
دارلى !

وذاث يوم ، خطف بوتويل الملكة
ولعب بها إلى قصر من القصور
التي سبق أن أعادها إليه : قصر
دونبر .

شعر الرجل بالخطر يهدده ،
فهرب ولجأ إلى قصر أبيه ، دوق
لينوكس ، حيث أصيب بالجذري

وهناك نطنت الملكة التي أفقدها
غرامها الأليم مقلها ، أنها ستتزوج
الرجل الذي يعاونها في حكم الملكة ،
بوتويل !

عملت ماري إلى الفلاح .
فلحبت إليه ، وأقنعتة بوجوب
العودة معها إلى العاصمة أدنبرة .
فأتقلا لها مرة أخرى ... وذاث
مساء ، بينما كان دارلى راغداً في

وانفجرت مراحيل الغضب على
صخور الشعب ، وشمرت الملكة من

وسمها الاستمانة باليزابيث ملكة
انجلترا ، بعد ان تعقد معها الصلح ،
فلعبت اليها ، وسلمت نفسها الي
خريمتها ! وكان ذلك بدء النهاية !

فقد عاشت عند ابنة عمها في أسر
دائم ، تنتقل من سجن الى سجن ،
وحاولت ان تهرب اكثر من مرة ،
وان تأمر ، وان تسترجع العرش ،
ولكنها فشلت مرة بعد مرة

ووقعت لها حوادث فرامية وهي
في الاسر .

ان ذلك القلب الفار لم يهد
نيراته ابدا . . .

أحببت ماري ستوارت واحدا من
حراسها ، وواحدا من خدمها ،
وواحدا من قواد الجيش الانجليزي ،
واكثر من واحد من رجال حاشية
اليزابيث الأولى .

ولم تكف عن التأمر . . .
وقادها التأمر الى الاشتراك في
ثورة على اليزابيث ، فقصت ملكة
الانجليز البروتستانتية باعدام ملكة
اسكوتلاند الكاثوليكية . . .

واعدمت ماري ستوارت بان قطع
الجلاد رأسها بالفأس !

الثورة على الابواب ، لكنها لم تعد
الي رشدنا ، بل سارعت في عقد
زواجها الثالث في الساعة الرابعة
صباحا ، واتسمت لبوتويل
« معك دائما » فاما ان نعيش معا ،
واما ان نموت معا !

فأمرت الي اقص حدود المعامرة .
وقاسرت بكل شيء . . . وهت
العاصفة . . . زحف الثوار الي مقر
الملكة وزوجها الحديد ، فمشت
ماري الي القتل مرة أخرى ، ولكن
الهرية كانت نصيبها

لقد انتهى كل شيء ، وفقدت
الملكة كل شيء

هرب بوتويل . . . ورغم الشعب
ملكته على التنازل عن السلطة
والمنادة بابنها من دارتلي ملكا على
اسكوتلاند . ولكن ملك ابن ينهم
أبدا بملكه

حاولت ان تفلت من الاسر الذي
وضعها فيه خصومها ، وان تستعيد
سلطتها التي انتصبتها النبلاء ،
فوقعت معركة أخرى - او أخيرة
على الاصح - بينها وبينهم . وهزمت
في هذه المرة أيضا

وظنت ماري ستوارت ان في



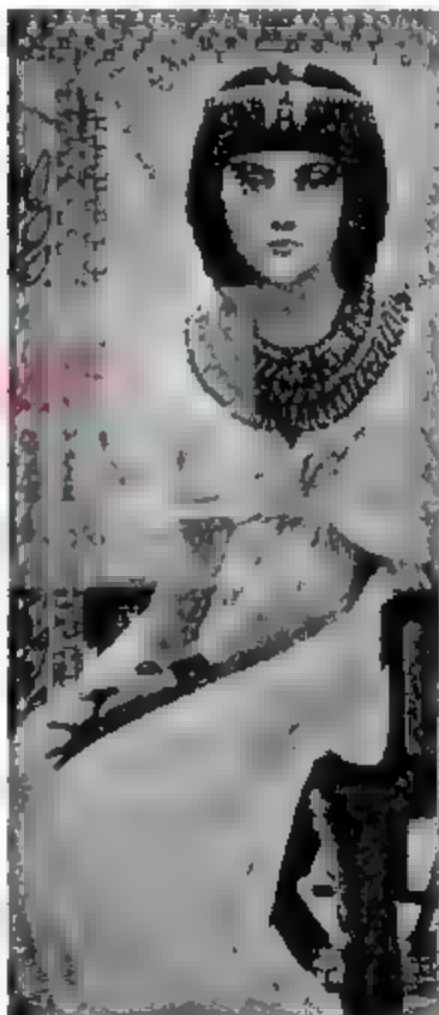
فائزات الفن

بقلم الأستاذ أبي صالح الأتقي

سيظل الجمال الإنساني
هو المصدر الذي يستوحى
منه الفنان أعظم أعماله
خطوة على وجه الزمن ...

استطاع رجال الفن على مر
العصور أن يسجلوا
نماذج متعددة للفننة والجمال ،
منها لفائزات معروفات ، كانت
لهن أدوار بارزة في عصرهن ،
ومنها لفائزات لم يسجل لهن
التاريخ شيئا مذكورا

والفنان المصري القديم من أكثر
الفنانين استحابة للجمال واحساسا
به وفدرة على تسجيل الثروة في
نفسه . ويعتبر لتمثال الأميرة
« نفرت » من أجمل نماذج الجمال
وأروعها . ففي عصر يوم من أيام
صيف سنة ١٨٧١ كان عمال
مصلحة الآثار يحفرون في منطقة



عمرسي توت عنخ آمون ، المذبح
من أن بآلون سنة ١٩٠٠ ق . م



معلوم ، وفحاة القوا ما بأيديهم من
ادوات الحفر واخذوا يصيرون
صيححات الدهش والاعجاب فقد
راوا داخل حجرة تمثالاً لسيدة
كانت قد بعثت حياة من جديد ،
مكتملة الصحة والجمال ، بشع من
حيونها الفاتنة يريق قوى ساحر ،
وتمتدي رداءه رقيقاً يكشف من
محاسنها . ولأنك ان جمال هذه
الاميرة كان يسطع في سماء مدينة
منف مند قرابة خمسة الاف سنة ،
مؤثراً في حياة زوجها الامير رع حتب
قائد جيوش والده الملك سنفرؤ



ولعل اكثر فانتسبات التاريخ
القديم شهرة هي الملكة نعرمتي .
ولعل جانباً كبيراً من شهرتها يرجع
الى تمثال صغير ملون صنعه لها
فنان مصري كان يعيها جياً في اهل
فيه ، فتحول هذا الصبا الملون
الى طاقة جبارة من طاقات الفن .
وقد عثر الباحثون في تل المملونة
على اكثر من تمثال حجري لهذه
الملكة وكلها بالغة الروعة والجمال
وقد سجل الفنان المصري ايضا
تفاصيل حياة فانتين من اشهر

تمثال الاميرة نعر
لوجة الامير رع حتب

فانثت التاريخ المصري القديم هما
حتشبسوت وكليوباترة



وفي بلاد العراق سجل التاريخ
اسم الملكة « شوبلا » من العصر
السومري منذ نحو خمسة آلاف
سنة . وكانت نموذجاً من لمعاج
الفننة في عصرها ، تتميز بصفاء
البشرة وجمال العيون ، تزين
بأقراط كبيرة مستديرة - كمودة
أهل هذا العصر - وتضع على
رأسها تاجاً من الذهب يمثل أوراق
الشجر متراصة ، ومطلى بالأحجار
الكرينة



ولم يغفل الفنانون المسلمون في
المصور الوسطى من تصوير جمال
المرأة ولقنتها فلبسوا في ذلك ألبسة
إبداع ، على طريقتهم وبأسلوبهم
الرخيف البسيط الذي لا يهتم إلا
بإبراز المحاسن دون أى اعتبار
آخر . فترى الفنان المسلم يهتم
بتقاطيع الوجه واستدارة أعضاء
الجسم ورقة اليدين وأناقاة الملابس
ونظافتها - ولا يهتم بتجسيم
الصورة على الطريقة الأوروبية -
فتبدو صورهم كما لو كانت صوراً
أسطورية

عادة تسم وردة المصور التركي
للنساء معلومة بالتحفظ لرسمها





ليس هاميلتون ... صورة راقصة من عمل الفنان دومي

صورة دولا ايزابيل
دي بوردويل المطوقة
بمفتاح لندن . من
أحسن أعمال جويو



للمرأة اعظم الفرص لتكون ذات اثر
موجه في المجتمع . . . ولم تكن
القيم الاخلاقية - دالعا - ذات
اعتبار ملحوظ

وقد كان من عادة الملوك والامراء
ان يطلبوا من كبار المصورين ان
يرسموا صورة الفتاة المرشحة
للزواج - من الطبيعة - فلذا راقبت
هذه الصورة للامير أو الملك تمت

ومن الصور التي ابدعها الفنان
المسلم لفاتنات معروفات صورة
« فتنة » صاحبة بهرام جور ملك
ايران ، وصورة « زليخا » صاحبة
يوسف الصديق



على ان الاوضاع الاجتماعية في
اوربا ، منذ عصر النهضة اتاحت



صورتها الفنان
انجر المدهواتيميه
مطوية بالخطوط
الاصلي يوفستيجن

اجراءات الخطبة وتم الزواج

ومن امثلة هذه اللوحات الصورة
التي رسمها الفنان المشهور
« هولبين » الاميرة « كريستينا »
الدانيماركية بناء على طلب هنري
الثامن ملك انجلترا . وقد استطاع
هولبين ان يصورها صورة تقرا
فيها البساطة والرشاقة والوقار
ومن الامور التي تستحق

التسجيل ان الصور الشخصية
التي كان يرسمها الفنانون كثيرا ما
كانت تظهر الفتيات المخطوبات اكثر
جمالا من حقيقتهم كما حدث عندما
كلف كرمويل فنانا يرسم صورة
فتاة اسمها « آن » من دوقية كليف ،
مقد اعجب هنري الثامن بالصورة
ولكنه قجع عندما راي الاصل

ففضب على وزيره كومويل وسجنه
في برج لندن



وفد تعرفت اليدى هاملتون ،
التي نشأت من أصل وضيع ووصلت
الى أعلى درجات المجد على الفنان
المشهور « رومنى » الذى كان تواقا
للجمال محبا للحسن ، وبالرغم من
أن هذا الفنان كان مخطبا لزوجته
مارى ، إلا أنه أحب هذه الفنانة التي
كانت تزوره في مرسمه زيارات
متلاحقة مكنته من أن يرسم لها
أكثر من ٢٤ لوحة غير عدد لا يحصى
من الرسوم السريعة

وفد كان لهذا الفنان الفضل في
تسجيل هذا الجمال الصارخ الذى
وجه الحياة السياسية في أورتاغية
من الزمن

وكانت حياة الصالونات في أوروبا
في القرنين الثامن عشر والتاسع
عشر مظهرا من مظاهر ذلك العصر.
ومن أشهر الفنانات أصحاب
الصالونات « مدام ريكامبييه » التي
كانت تعتبر نموذجا للجمال والذكاء
والأناقة ، وقد سجل صورتها الفنان
« آنجر » صاحب المدرسة
الكلاسيكية الجديدة التي ظهرت في

أول القرن التاسع عشر ، فرسم
هذه الفنانة ممتدة على أريكة وهي
ترتدى الملابس الرومانسية . والصورة
من حيث الأدب والتكوين من أحسن
ما أنتجه هذا الفنان . وتعتبر من
أحسن التحف المحفوظة في متحف
اللوفر على أن « مدام ريكامبييه » كانت
محب بصورة أخرى رسمها لها
تلميذ من تلاميذ دافيد هو الفنان
« جرار » ، ولعلها أصعب بها لأنها
أظهرتها أكثر شبها من الصورة التي
رسمها دافيد

ومن الفنانين الذين رسموا كثيرا
من الصور الشخصية الفنان
الاسباني « جويا »

وكان جويا يحافظ على اللامع في
الصور الشخصية التي يرسمها ولكنه
كان يتعدى ذلك إلى إبراز ما يمثل في
النفس البشرية من طمع أو
شهوات . ومن أحسن أعماله صورة
إيزابيل دي بورميسيل المحفوظة
بمتحف لندن ، حيث نرى فيها
فتاة ناضجة متفجرة الانوثة

وسيطر الجمال الإنساني هو
المصدر الأول الذى يستوحى منه
الفنان أعظم أعمال الفن وأكثرها
خلوها على وجه الزمن

لمسة امرأة أبرأت أن تصبح عشيقة للملك ،
فكان لها ما أبرأت ، وسيطرت على فرنسا وملكها
وجعلت قصرها صالونا للأدب والشعر ...

الفاتحة الأدبية مدام دي بومبادور



ضريح كلب - - حسنا فقلت
حليمة الملك لويس الخامس عشر ،
مدام دي بومبادور ، كلبها المعبود ،
والشار الرئيس ، وأشار رجال
حاشيته ، إلى ذكريات أخرى في
التصريح وحديثه ، ذكريات بعضها
محزن ، وبعضها مفرح
كان ذلك في حلال زيارة قامت
بها بعثة صحفية مصرية لفرنسا ،
وكننت بين أعضائها ، وقد استقبلنا
رئيس الجمهورية الفرنسية وقتئذ ،
فرنسان أوريول ، في مقره الرسمي
بقصر الإليزية ، بحي سانت لوغوريه
بالماصمة الفرنسية
القصر تحفة هندسية رائعة .
وحديثه الكبيرة من أجل المذاق

قال رئيس الجمهورية هوغو يشير
إلى الحديقة وقد بنت
أشجارها ورياحينها وزهورها من
خلال الباب الزجاجي المؤدى إليها :
- هذه الحديقة مفعمة بالذكريات
.. ليس فقط منذ قيام النظام
الجمهوري ، بل من قبل ذلك بكثير ،
من عهد الملكية التي أصبحت حديقة
مطلوبة من صفحات التاريخ
وبعد لحظة صمت ، استطرده
قائلا :

- أمام هذا الباب ضريح جميل
فسألنا مصنفين ، وجاءنا الرد :

كاملة ، من سنة ١٧٢١ الى سنة ١٧٦٤

قال رفيني في الزيارة : « كان
كلها مخطوطة في حياته بقدر ما
كانت هي مخطوطة في حياتها ! »
تطقت النومة معها !

قالت لها
المرافقة ، وهي في
التاسعة من عمرها
فقط : « لعمرك
طريق مفروش
بالورود ، السعد
بضحك لك من
الآن ، وسوف
ترفعين جنا ،
سوف تصبحين
أكثر من ملكة ،
بدون أن تصبحين
ملكة ! وسوف
يجمع لك العرش
بدون أن تجلسي على العرش ! »

نظت الطفيلة « جان انطوانيت
بواسون » الى أمها ما قالت له لها
المرافقة ، وظلت تردده بينها وبين
نفسها ، وعلى مسامع الناس كلما
سئحت الفرس ، حتى أصبح قول
المرافقة عقيدة عند المرأة وابنتها
فكبرت انطوانيت وهذا الإمل يخلج
في صغرها : « ملكة او أكثر من
ملكة ! »

إنها من أسرة متوسطة الحال
ولكن أمها قطع في أن تحصل من
ابنتها امرأة عظيمة ، خصوصا وقد
تنبأت لها المرافقة بذلك
عنيت بتعليمها وتثقيفها وتهذيبها.

في بلد عرف باهتمامه وعنايته
بالأشجار والأزهار

ويرجع تاريخ انشاء هذا القصر
الى أوائل القرن الثامن عشر ...
وفيه أقام ملوك فرنسا ، ونابليون
الأول ، ونابليون الثالث ، ورؤساء
الجمهورية ...



لويس الخامس عشر

ومن أشهر
الذين سكنوه
المرتبعة دي
بومبادور ، عشيقه
لويس الخامس
عشر ، وقد أمدها
الملك البهسا في
منتصف القرن
الثامن عشر
وطلت من
مراقب الرئيس
العرسى السباح
لى برسيرة القصر
وحديثه في وقت

آخر ، فاجابني في ريفيني . وتحت
الزيارة ، بل تم الطوائف في اليوم
التالى ...

ذهبت اول ما ذهبت الى ضريح
الكلب الذى دلكته الحليمة المحبوبة
بقدر ما دلها عشيقها المروج ، ثم لما
حرمت من حناها أو حرم من حناها ،
دفنته امام باب القاعة الكبرى ، في
المديحة ، لتظل رفاته تحت أنظارها ،
ولتظل ذكراه حية في نفسها !
والقصر مليء بالذكريات المتعلقة
بالجسد التى حكمت فرنسا من
خلال الملك ، أو حكم الملك فرنسا
بوامعيتها
عاشت ثلاثة وأربعين سنة غير

ودربتها على القاء القصاصات الشعرية.
والتطع التمثيلية ، وعلى الرقص
والغناء



وأصبحت الطفلة الذكية وتاة
بارعة الجلال ، غبية بما أعدهته عليها
الطبيعة السمخية من نعم : قامة
حيفاء ، وجه نير ، عيان ررقاوان
يتقدان ذكاء ، أنف صغير متناسب
مع الوجه النير ، سرعة خاطر
لا تحارى ، علم واسع ، ذوق سليم ،
وجادبية لا تقاوم !
ماذا ينقص المرأة اذا توالى لها
كل ذلك ؟

رأى شباب لا يمتنى اتخاذها
زوجة له ؟

وذوجوها وهى فى العشرين من
العمر ، وكان زوجها الشاب النبيل
شارل لينورمان دتيول

وتهاوى الناس من حولها قائلين
ان امها اختارت لها هذا الزوج **لانه**
يعت بالقراية الى عشيقها - عيسى
الأم - وهو ايضا من أسرة لينورمان ،
لانه والدها المصنف

لا شيء يثبت جدا ولا شيء من
ناحية أخرى تنميه

اختارت لها امها زوجا من أسرة
لينورمان ، ولكنها ظلت تذكرها بلقن
العراقة نيات لها بشيء آخر

لا بد ان من الوصول الى الملك ،
اذا كانت المحصلة تريد ان تصبح
« أكثر من ملكة »

ساعتت انطايت وامها القدر
لكي يحقق النبوة !

كان الملك يكثر من الخروج الى
الصيد فى غاية حيسار ، بالقرب من

باريس ، وهى ذات يوم ، ربما كانت
عربة الملك تخرق العابة ، اعترضتها
عربة أخرى ، استمر منها ، زرقاء
اللون ، واصططرتها الى الوقوف ،
ورأى الملك ، من نافذة عرسته وجهها
ملائكيا يتسم له من نافذة العربة
الأخرى !

من تلك اللحظة ، شعر الملك
لويس الخامس عشر بان عشيقته
« دوقة شاتورو » التى كانت فى ذلك
الوقت اقرب محظياته اليه ، لم تعد
مستحقة على قلبه ، وان فى هذا
القلب مكانا لغيرها !

ما مرت أيام على ذلك القاطع المابر ،
حتى كانت المحساء انطايت تهرش
بالمك فى حطة ساهرة بنار البلدية
بباريس ، وراود ان يستعمل الوقت
وان يستولى على قلب الفتاة بسرعة ،
مهسى من ادبها كلبات تظاهرت
المرأة بانها حرمت احساسها ،
فانتمت ، واعجب هذا الطهر
المصطح الملك الماشق الفاسق ،
وتوالت مساعد الرواة ، واحسنت
انطايت التمثيل ، وامها من خلفها
تقوم بمهمة المنقش ، حتى انتهى كل
شيء كما ارادت المراتان لن ينتهى
ومما ساعد على طئه النهاية ،
موت عشيقته الملك دوقة شاتورو



خلا الجر لانطايت ، ولكنها
لا تريد ان تكون ، بالقرب من الملك ،
واحدة بين عشرات المحظيات
والحليلات : تريد ان تكون الاولى ،
او لا تكون شيئا ، تريد ان تكون
فوق الملكة ، لانها تعرف ان المرأة
التي تطفى على قلب الملك هى التى



قصر الاكاذيب ... ان جيران هذا القصر وحيدته طمعة بالاكاذيب
ليس لفظ مثل ايهم النظام الجمهوري في فرنسا بل من قبل ذلك بكثير

الاورامر. بخلاف اورامر الملكة المتوجة،

غير قابله للفضيلة

وموتت شططهوء ، واذا بلويس

الخامس عشر يمنع المشيقة المختارة

لعب ، مركيره دى بومبادور ،

كانالروج ، طمنا ، آجر من عرف

بما يحدث حوله ، ولا عرف ، اراد

ان يحدث ، فابعد عن باريس ،

وحصلت الزوجة على قرار بالانفصال

عنه ا

وبما حكم مقام دى بومبادور ...

يقول الذين عرفوها وكتبوا عنها

انها كانت فائزة المشاعر باردة في

حيها ، بخلاف ما كانت تدل عليه

مظاهرها

تتحكم فيه وتسير ارايده

انها لا تفرقه تمام على الملوع

غايتها . كل الوصل الى امباحة في

نظرها . وهكذا ، في سنة ١٧٤٥ ،

وهي في الرابعة والعشرين من

العمر ، أصبحت جان انطوانيت

بواسون ، زوجة ليورمان ديتيول ،

عشيقة الملك الرسمية ، امام الناس

اجممين ، الذين قدمها الملك اليهم

بهذه الصفة

وقد كان الملك يقدم عشيقته الى

رجال القصر ، ليكونوا على بيئة من

امرهم ، وليعلموا ان ملكة غير متوجة

اصبح مسموحا لها ، في المستقبل،

ان تصدر اليهم اورامها ، وان هذه

كان عموا للنسب فأصبح بارشاد
عشيقته صديقا لها . وكان صديقا
ليروميا فأصبح بارشادها أيضا
عموا لها

وبعمل مدام دي بومبادور ، تم
التقرب من امراطورة النمسا ماري
لويز . وكنت فيما بعد خطبة ولي
عهد فرنسا ، لويس ، للإميرة
النمساوية ماري انطونيت



دام حكمها تسعة عشر عاما كاملة
حاول أعداؤها أن يقصوها عن
الملك ففشلوا . ولما أدركت مدام دي
بومبادور انها بدأت تفقد حسننها
وسحرها ، وان الملك بدأ يبحث عن
السلوى بين أحضان غيرها من النساء
لم تنضب ، ولم تياس ، ولم تحاول
المقاومة . بل مايرت الملك وغضبت
النظر عن علاقاته مع النساء من
نساء القصر ونساء طبقة الاشراف ،
الاشراف باللقب لا بالخلق !

سهوت للملك كل طريق أراد أن
يسلكه ، لحل شرط أن لا يكون في
ذلك امتقاص لسلطانها ، وقوتها ،
وتحكمها في شؤون الدولة : فهذا
وحده كان يهمها ، وهذا وحده
ما سمعت اليه منذ البدء ، يوم اطلت
من نافذة عريتها لتبسم للملك

تحملت كل شيء في سبيل
الاحتفاظ بالسلطة . واحتفظت بها
الى آخر يوم من أيامها . وماتت في
١٥ أبريل ١٧٦٤ . بعد أن عجز
الاطباء عن شفاها من آلامها .
وكانت في الثالثة والأربعين من العمر

لكن مطامعها لم يكن لها حد .
وطامعا للمال والسلطة لم يكن من
السهل اطفاءه . ولهمنا ، فقد
اندفعت مدام دي بومبادور في
الطريق التي خطته لنفسها ، غير
حاسبة لشيء ولا لأحد حسابا
كان عليها أن تحارب النساء
وتحبطنها ، إذ أن الحساد حولها كانوا
كثيرين ، من الرجال ومن النساء
السواء . وتقلب عليهم جميعا ،
الواحد بعد الآخر ، والواحدة بعد
الأخرى



وهذه المرأة المتعطشة الى المجسد
والشهرة والسلطة ، تميل أيضا الى
الادب وتضعف أمام الادباء وكان أول
ما فعلته في قصر الاليزيه ، الذي
أهداه اليها الملك ليكون مقرا لها في
قصر باريس ، ان انضمت فيه دائرة
للممثل والموسيقى والرقص ،
وفضحت أبوابه للكتاب وعمل بالخصوص
للشعراء ، وأغدقت عليهم المال وفنم
بلا حساب

كانت تشرف بنفسها على إقامة
حفلات أدبية وفيه في قاعة المسرح
بالقصر المييف . وكاتب سناعات
آيات في الدوق وحسن التسميق
وتعام الاعمال

وبجانب الادب والشعر والممثل
والموسيقى ، جعلت مدام دي بومبادور
تتدخل ، شيئا فشيئا ، في شؤون
الدولة السياسية ، وفي تنظيم
علاقاتها بالقرى الأخرى
وكان الملك يصغى الى نصائحها
ويصل بها

بالتقيس

المرأة التي يجرها سليمان

وخلد قصتها القرائ

بقلم الدكتورة بنت الشاطي.

ثم جاءت المفريات
فاثبتت وجود كثير
من معالم الدنيا التي
كانت مسرحاً لتلك
القصة التي فاقت
الأساطير

تبدأ القصة في
القرآن ، حين ورث
« سليمان » الملك
والسيرة والحكمة عن
« داود » عليها
السلام ، ثم حياة الله
بفضل منه ، فعلمه
منطق الطير وسخر
له الجن ، وحدث أن
افتقد « سليمان »
طائر الهدهد ،

فتوعد به عذاب شديد إن لم يرق له
عذر مبين في هذا الغياب ، وجاء
الهدهد ، وعلم سليمان بأمر ملكة
سبأ وعرضها العظيم ، وسمع أنها

موت العصور وتتابعت
الاجيال ، وقصة بالتقيس
ما تزال حديثاً يروى
وقصة تستعاد وصورتها
ما تزال تترامى من أعمالي
ذلك **لغز السحرة**
الموعول في القمم - مساطمة
البناء قاصصة بالحياة - قد
اعبى الزمن أن يطمس
معالم فتنها ، أو يحجب
شيئاً من روائها وسننها ،
أو ينحى عنها تلك الظلال
الاسطورية التي حلت بها
فزادتها سحراً على سحر

وقف التاريخ أمامها
حائراً مهوراً .
لقد ظل آماداً طويلة
تجسمل وجودها
ويحسبها من
مبتدعات السمار
وخيالات القصص ،
لكن الكتب الدينية
المنزلة جاءت فاهترست
بها اعتراها صريحاً
جسماً ، لم يعد من
السهل معه أن يهدر
التاريخ وجودها
وماذا يجنى الاحترار
وقد أضفى عليها
ذلك الاعتبار
السمائي حكمة

دينية ، فصار من الصعب انتزاع
الايمان بها من قلوب الملايين الذين
آمنوا بها أنزل على موسى وعيسى
ومحمد عليهم السلام

وقومها يستحقون لكشمس من دون
الله، لا إله إلا هو رب العرش العظيم .
فما كان من . سليمان . إلا أن كتب
إليها كتابا ، طار به الهدى إلى سبأ ،
والتفت إلى الملكة التي تكتفه في عناية ،
ثم قالت لأهل مشورتها : « يا أيها
الملأ ! أرى ألقى إلى كتاب كريم . إنه
من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن
 الرحيم . ألا تعلوا حسلي والتمسوني
 مسلمين » .

ثم سألتهم الفتيا والرأى فآثلة .
« يا أيها الملأ ! أفتوني في أمرى ،
 ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون » .
قالوا : نحن أولو قوة وأولو بأس
 شديد . والأمر إليك فأطرى ماذا
 تأمرين . قالت : أن الملوك إذا دخلوا
 قرية أقسدها وجعلوا أهزة أهلها
 أذلة ، وكذلك يفعلون . وذات مرة
 اليهم بهدية فضاخرة يم يرجع
 المرسلون . فلما جاء سليمان ، قال :
 أتقدموني بهال . فما أتاني لله خير
 مما آتاكم . بل أقيم هديسكم
 فخرسون . أرجع إليهم ، ففقتبتهم
 بجود لا قبل لهم بها ولنخرسهم
 منها أذلة وهم صاغرون .

وتنصى القصة القرآنية ، فتروى لنا
 كيف وفقت ملكة سبأ على سليمان
 تبني المسألة ، فما راعها إلا أن رأت
 عرشها هناك ، فقيل لها : « أحكما
 عرشك » قالت : كأنه هو ! »

وقاد سليمان ضيفته إلى صرح
 مررد لم يسبق لها أن رأت مثله ،
 فلما رآته حسبته لجة ، وكشفت
 عن ساقها ، قال : إنه صرح مررد
 من قوادير » .

اذ ذاك شعرت الملكة بضالة
 سلطانها وتناحه ملكها . أمام الذي
 شهدت من آيات ملك سليمان ،
 وجبروت سلطانه ، ومعجزات نبوته
 فلم تتردد بعد ذلك في الإيمان برب
 سليمان ، وقالت في حضور : عرب
 أنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع
 سليمان لله رب العالمين » .



هذا هو جوهر القصة كما وردت
 في القرآن الكريم ، مكتملة العناصر ،
 متسقة المواقف ، مترابطة المساهد ،
 لكن دون اهتمام بالجزئيات أو عناية
 بالتفاصيل ، فما كان يسنى القرآن
 منها - وهو كتاب عناية ودين - إلا
 موضع العبرة ومضرب القتل وعنصر
 الحكمة والهداية : ملكة ذات جمال
 وسلطان ورأى ، تصد هي وقومها
 الشمس من دون الله ، فبابي سليمان
 إلى الأبد بردها عن هذا الضلال ،
 وبعث إليها على جناح طير ، برسالة
 موحزة ما تكاد الملكة تقرأ ما فيها
 حتى تدرك بفطنتها ما ورنه هله
 الكلمات القصار من جد وحسوم
 وتصميم ، وترى الأمر أخطر من أن
 تبيت فيه وحدها أو تستقل فيه برأى
 قاطع ، فتجبع مستشارها وتسالهم
 أن يلقوها ، فيظهرون اعتسلاها
 بغوتهم وبأسهم الشديد ، ملحين
 بفلك عن استصلاهم لمراجعة هذا
 الخطر ، تلوكن للملكة بعد هذا ،
 الكلمة الأخيرة ، للتأمر بما شئت ،
 فهم جنسها الإقوياد ورعاياها
 المخلصون الأمل . لكنها تشفق على

للهنا ومعه من القصر مله
 والملك اذا جلا ربة القصور
 وسلم اعزاهوا لركه ويبدو له
 ان لايت شدا ليجير شقيقه
 خليفه ويرى ان كان فيه موضع
 ضحك يستحق ان تله منه اليه
 وجدها بولها ان صباه نفا
 لاخبري فحمت اليه يدها تترى
 كود يكره مرققه احد حتى طاحت
 واجتهه سواد ان لا عاد اليه رسد
 وجدوها هي من سليمان في ملا
 وتصيبه على الحربا في سليمان
 وسالته بعد ان تله في كاهن
 وبنها رايه ملكي كسل نسله
 ولبي لقاصه ومعه الله ان من امان
 و سليمان و يكره كما جناه اريم
 هذا كاديه من من شغل دكتي
 املاها في ربه سليمان
 ومن يله القري الكرم من ربه

هره خير من صلاتا من
 في كمن جود القصة لا هي
 صحت جدي من اليه والاعية
 حواء في ان يكون سكا حله
 لسيده بلقيس ان هو قصر ان
 يكر يرها من جد ان جود سبل
 وا بعد القصة في وقت من لو
 سو راد يكره هي من ملكه وسعه
 كذ و كس يكره هله حروها
 علفه اول ان صدى وان لكون
 هديك الى سليمان من و سال
 او حات "بعد القصة الشاكر
 و رات جود او
 فلا من من حله كاله مشير حوص
 في القصة ان به في القري
 من حيث من كاله حدي به رهي

لكي الناس يستفيد من القصة

بعد بلقيس على سليمان في
 ربه واجله ملكها كاله لسيده



وقد تلا المسلمون قصة سليمان
وملكة سبأ في كتابهم الديني المسجى ،
فشاقهم أن يعرفوا مريدا من عنده
القصة المثيرة

فمن تكون ملكة سبأ هذه التي
بنت في القرآن الكريم ذات قطنة
ورأى وساطان ، وخبرة بتدبير الملك
واساليب السياسة ؟

وما صفة هذا العرش الذي قال
فيه القرآن الكريم : عرش عظيم ،
فأنقى عليه سمة من جلال حين
وصف العرش الالهى في الصياق
نفسه بالعظمة ؟

وما معنى قوة سبأ ، رعايا الملكة
الذين قالوا في اعتداد : نحن أولو
قوة وأولو بأس شديد ؟

وأى شيء كانت هدية الملكة للملك
نبي ، تهابه وتشفق من مواجعتها
بالمخالفة والعداء الصريح ؟

وكيف كان صلب المرح المؤبد
الذي أذهل ربيبة التصور الى حد
أن حسبه لجة فكشفت عن مناقبها
اقتلاء الماء ، ولم تظن الى حقيقته حتى
قال لها سليمان : انه صرح بمرد
من قوارير ؟

اسئلة جالت بخاطر كثيرين ممن
تلوا القصة المنزلة ، وراحوا يلتمسون
الجواب عنها في فضول غالب وشوق
مستثار ، فكان أهل الكتاب - من
يهود الحجاز - هم الذين تولوا إرضاء
هذا الفضول بما أوتوا من علم
بأساطير الأولين

ومن ثم راجت في الأفق الاسلامي :
دائعات شاذة عملات قصة ملكة سبأ
باصناف وحوش دخيلة ، وأمتلات
كتب التفسير بهذه الاسرائيليات
التي تفسخت تضخما أسطوريا :
ف قيل - فيما قيل - إن أم بلقيس
كانت من الجن ، أما أبوها فالمشهور
عند المسلمين أنه شراحيل ملك أرض
اليمن كلها ، وقد ورث الملك عن
آبائه وأجداده الذين تعاقب منهم على
العرش اربعمائة ملكا ، ثم جلست
عليه بلقيس ، حين مات أبوها
وليس له ولد سواها

وذكروا في وصف عرشها ، انه
كان ثمانين ذراعا في ثمانين ومائة
ثمانون كفلك ، وكان من ذهب
وحضة ، ترصعها أنواع من الجواهر ،
أما قوائمه فكانت من ياقوت أحمر
وأخطر ودر وزمرد

وحددوا مقر ملك بلقيس ، في
قصر مأبوس تحسب صنعاء اليمن ،
وذكروا أن الهدهد حين أتاها بكتاب
سليمان ، ألقاها رائدة في مضجعتها
بالقصر ، وقد غلقت الابواب جميعا
عليها ، فلفظ من كوة هناك وطرح
الكتاب على نحرها وهي مستلقية ، وقيل
أنها كانت في غفوة ، فنقرها فانتبهت
فرצה ، وقيل أتاها والقادة والجنود
حواليها ، فرغفروا ساعة والناس
ينظرون ، حتى وقعت رأسها لآقى
الكتاب في حجرها ، وكانت قارئة
كتابة عربية ، لأنها من نسل ملوك
حبر

أما أهل مشهورتها ، فأحصوا
عدهم : ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ،
كل واحد عنهم على عشرة آلاف ا

وكان حظ الهدية الملكية من ثقاتين
الخيال جدا وقيرا ، فروى ذاتها بعنت
اليه خمسمائة غلاما مرد عليهم ثياب
الجوارى وحليهن الاساور والاطواق ،
وخمسمائة جارية في زى العلمان ،
راكبات خيلا ممرجة بالديباج
المنسوج بالنصب ، وملحمة بأعنة
ذهبية مرسعة بالجواهر ، كما بعثت
اليه ألف لبة من ذهب وقضبة ،
وناحا مكللا بالنر والياقوت ، وعصا
وعنبرا ، وحقا بيضاء درة عذراء لم
تلق ٠٠٠ ، كما سمعت القصة من
وسل بلقيس الى سليمان ، المنذر ان
يهرؤ من أشرف سببا

ولم تمر صالة الإهداء ببساطة ،
بل حددوا موضوع الاسحان واستلته

فان كان سليمان تبا ميز بها العلمان
والجوارى ، وتقب الدرة كتماصنوبا ،
وان نظر ال رسول بلقيس عصبان
فهو ملك ، يهون أمره ، أما اذا بدا
لطيف المحيا فهو ببي ا

وكان حفل استقبال سليمان
لبلقيس عجبيا : فيمثل انه
أمر الجن فصنموا قوالب من ذهب
وفضة ، وصنموا بها بين يديه ميدانا
طوله سبعة قراسخ ، وجيء بأحسن
دواب البر والحضر ، فربطت على
بين العلمان وساروا ، ثم لعد على
حريه ، واصطلت جنوده من الانس

والجن والوحش والطيور ، صفوها
أربعة متميزة ، يمتد كل صف منها
الى آخر حرمي البصر

وبقى للصرح المرد به هذا كله ،
نصيبه من التهاويل وثقافين الخيال :
فقبل ان الجى خافوا ان يفتتن سليمان
بجمال بلقيس الساحر ، فيترجها
فتنضي اليه بأسرها لهم احتفظوا بها ،
وعرفتها هي - دون البدر - لان لها
حنية ، وقبل انهم جاعوا ان يكون لها
ولد ، تجتمع له قطنة الجن والانس ،
فحاولوا جهدهم ان يصدوا سليمان
عن الافتتان بعين بلقيس ، وزعموا
له ان رجلا كعسافر النابذة ، وان
ساقها شعراء مشوكة ، فاحتال
سليمان بهذا الصرح المرد الذي
حسبته بلقيس لجة ، فكشفت عن
مناقبها ، فانا هي أجمل النساء
ساقا وقفا ا

واحتلت القصة بالاعجاب
المتشاكل ، فاعجبت بلقيس بعكبة
سليمان ودينه فأسلمت معه لربه ،
وأخذ هو يسهر جمالها الفتان ،
فأحبها حبا شديدا ، وتزوجها ،
واقربها على ملكها ، وأمر الجن لبنوا
لها الحصون والقصور ، وكان يزورها
في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة
أيام ، ومن نسلها جاء ملوك الحبشة
واليمن ا



وواضح من هذه الاسطوريات

سورة النمل ، ثم عقب عليها قائلا :
 « ولا اقرب في مثل هذه السياقات ،
 انها مثقفة عن أهل الكتاب منا وجد
 في صحتهم ، كروايات كعب ووهب ،
 مناصحا الله تعالى فيما نقلناه الى
 هذه الأمة من أخبار بني اسرائيل ،
 من الإرايد والعرائب والمعجائب ،
 ما كان وما لم يكن ، وقد اثنانا الله
 سبحانه عن ذلك بما هو اصح منه
 وانفع واوضح وابلى ، وله الحمد
 والمنة - ٨٢٩/٦ »



ومع استبعاد كل ما اتهم عمل
 قصة بلقيس من اساطير ، وتجريدها
 ما أصيغ اليها من أرايد وعرائب ،
 تبقى القصة بعد ذلك ، لغة من
 سحر حيا بالشرقي وعطره ، ومزاجا
 عسريا من روحانيته وماديته ، وتجل
 ، بلقيس ، في عفوان جمالها ،
 وروعة جلالها ، وذكاء انوثتها ،
 نموذج أصيلا لحواد هذا الشرق بكل
 سره وسره ، ومثالا هجيبا لتلقى
 فيه الأرض بالسماء ، والاعمى
 بالنبوة ، والحقيقة بالوهم ، والتاريخ
 بالأسطورة ، والواقع بالخيال ، ، ،

انها من تهاويل الخيال ، وانها بعيدة
 كل البعد عن روح القصص القرآني ،
 مجالية لاسلوبه في البيان المجز ،
 منافية لما لوف صتيه فيما يتناول
 من أخبار الأولين وقصص القافرين ،
 حيث يكتفى - كما قلت - بموضع
 العبارة ومطرب المثل ، ويستهدف
 الهداية التي هي مناط التنزيل

واما راجت هذه الاساطير لانها
 أرست الفضول المستنار ، لمصرقة
 تفصيل القصة المثيرة التي نزل بها
 الكتاب الحكيم مجلة موحدة ، وخذع
 بها المفسرون لان من بين الذين جلاوا
 بها ، يهود أسلموا وحسن في
 الظاهر اسلامهم امثال وهب بن منبه
 وكعب الأحبار ، على أن من المفسرين
 من أنكروا تلك الاباطيل **الدخيلة**
 على الاسلام ، ولفتوا الى خطورها لفر
 تفسير ، البغوي ، أنه رجلا سأل عبد
 الله بن قتيبة عما كان من أمر بلقيس
 بعد اسلامها ، هل تزوجها سليمان ؟
 فاجاب : ان مبلغ علمه ان امرها
 انتهى الى قولها : « واسلمت مع
 سليمان لله رب العالمين »

ولورد ، ابن كثير ، كفي هذا
 الحشد من الاساطير في تفسيره لآيات



دليلة

الرائية التي اتخذت بها تمسوت

وولست دليقة رأس
تمسوت من حجر ماء
والنار بالطنير ال
النمر ليضه دلاعه



وقف الرجل الضخم من مسيره . ونسى رأسه

الكبير الى الوراء ، ثم أرسلها ضحكة قوية مرحة ، ضحكة معدية كلن من أثرها ان الضحكة الذين كانوا يسطادون السمك في المجري أداروا رؤوسهم الى مصدر الصوت ، واغترت نفوسهم من ابتسامة مريضة

وفي اللحظة التالية كانوا يهرولون خلال القرية وهم في انفعال عظيم ، ويصبحون يقولهم : « شمشون هنا ان حليته موحود بينا »

اناء مشيرة حقا !

وهرع الرجال

من حالتهم

ومن الحدائق

ليروا الرجل

الذي قال البعض

عنه انه سيطرد

في النهاية

أهائي فلسطين المحتلين العظمين

الى كل النفوس من بلادهم

ومرج الرجل الضخم على شارع

القرية ، وفي مشيته شيء من الاختيال

والزهو

هذا هو شمشون ، وانه لرجل

جدير بالنظر اليه ، والى خصلات

شعره الطويلة السوداء ، ووجهه

الاسمر ، وملامحه القوية ، وحيثه

السمو ، وعينييه السوداوين

الباديتي الحبث والنعاه ، وشفتيه

المليحتين المتأهبتين للضحك ، فلا

صعب ان تتضائل النساء أمامه ،

وان تغزو قواهن ويضعفن قبائله

وكان يسير في حفة النهر ، وكأنه

غير مدرك مبلغ قوله وبطشه ،

وجسماته الضخم يتمايل تمايلا منتظما

فوق ساقين طويلتين متبعتين ، وكان

محفله التي لا يستد الى ما بعد الحركة

يبدي للانظار قوة محدية

وتنهت العذارى لرآه ، وشعرت

الزوحات ان القدر قد أساء اليهن

ورأى الرجال المصطف الراهي

الجميل وقد سفل بالركنسة البديعة

الانيقة ، فكان حيرتوب يرتديه قاص

من قصاة آل اسرائيل

ولقد كانت البلاد غاصة بأمثاله

من الرجال الاقوياء الاشدهاء ، رجال

في غسامة

الجمال ، وكذلك

كنوا في صغر

اسقول كالحمال ،

اما شمشون

فقد كان

عظيما في قوته

المسجية والبعثية على السواء ، كان

قويا في حقيقته كما كان جريئامقديما

في كفاحه وقتاله ، وكان الى جانب

ذلك المسائي الشهور محبوبا

لا يفضل شيئا على التجهيل النساء

وملاطفة الحسنان وترويضهن بفيضة

التضاء على واحد من أهالي فلسطين

وطرقت آذان شمشون كلمات

الاعجاب وهو يخطر في الشارع

المكتظ المزدحم ، وسرته خواطره

النفسية ، وكان اصحاب هؤلاء القرويين

منعشا قويا لروحه

لقد كانت مزحة بديعة حقا تلك

التي حدثت في الليلة الماضية ،

اشتعلت الحرب بينهما منذ
سفر من أنوثتها ، وكان
سلاحها في هذه الحرب هو
سلاح الفنة والجمال والذلال
وسلاح الحب والغرام ...

ولكن ما أسخف أهالي فلسطين وما أعظم غمائمهم ، بيد أن عليه أن يكون أكثر حرصا وأعظم حذرا ، ولذا كانوا قد اعترضوا مفاجاته ومهاجمته كل مرة يكون فيها مع امرأة جميلة ، فاعلم صيكونون جميعا مثله كثيرون الأعمال جمى الانهماك

الآن أسانا يريد أن يقضى عطلة الاسوع على شاطئ البحر ، ثم يتفق أن يدعو امرأة فتاة أن يؤسس وحدتها ، يكون ههنا لعنا لاعدائه فيحاصرون المكان ، وقلوبهم تصطبغ بالشهوة الى الانتقام . والظلم الى الدماء ؟

وكان من حسن الحظ أن اطل من بين السجف الحسرية ، ووقعت أنظاره على أشخاص الساكنة ، فانسل عند منتصف الليل ، وغادر الدار من باب خفي ، ثم تسلسل على كتب من اعدائه استنصر كباينسل النمر الضخم ، حتى وصل الى بوابة المدينة ، وكانت بوابة صخرة حائلة ، فاقتلعها في سكون وإسفلها ، لجل البوابة والغضب المدينية والصد على اكتافه العريضة وابتهت عن المدينة . وسمار في الليل ذي الكواكب المتألقة حاملا على اكتافه ذلك الحمل المحيى وهو يضحك ، حتى وصل الى رابية على مقربة من جبرون ، وتبعد عن المدينة عدة أميال ، وهناك أقام العمد والوابة ووضع المراكب

وتصور وجوه أهالي فلسطين حين وجئوا أن بوابة مدينة قد أقيمت بشكل ينير الضحك والسخرية على رابية تبعد عن المدينة نحو ثلاثين ميلا . لقد كانت مزحة نادرة المثال ، ولقد

دلت هذه المزحة الحادثة القديمة التي وقعت في العام السابق ، حين قبض على ثلاثمائة من أبناء آوى ، وديبط ديولها جميعا بعضها ببعض ، ووضع مشعلا بين كل زوج منها ، ثم فك قيودها بين أهالي فلسطين . أو حين فكانت عليه مئات منهم وهاجموه ، فالتقط ما يشبه المنجل وكان عطلة فك حمار ، وبهذا السلاح المتواضع استطاع أن يتغلب عليهم ، وأن يترك وراءه أكادسا من الموتى في الميدان وصار شمشون مشغول الزمن بخواطره وأفكاره ، وكان يمشى كالظافر ، ويرششق الفتيات باحتساماته ، ويحني رأسه بالتحية للرجال . ما أجل الحياة وما أمتعها حقا ! وأنه ليقف الفنتا بعد الفنتا ليرسل ضحكات يرن صدها في الوادي

وحظ أن اطلت امرأة من شرفة عالية حين كان يرسل إحدى ضحكاته الرنانة ، وقالت في رقة :

— **يظلمني الله في حالة سرور**
واشراج يا صاحبي

سوت شمي رئيس حافت موسيقى ، فتعرف شمشون ، ورمع أنظاره قرأى وجهها كالزهرة الياصة مشرقا في عمة الغروب . كان وجهها شاحبا يتوجه شعر أسود كالح ، ذا عينين سوداوين وشعثتين بنبوان رغم العتمة مقلتين حمراوين منتفتحتين انفتاحا مغريا . وكأنا كان جالها كسحابة اكتنمت مرحة ، لأنه حين ، وإن كان لا يدري لم كان هذا التخمين منه ، إن التريث مع هله المرأة مستكون تشيعته بلا مرء السرور والحزن معا ،

ومن المرجح أن تختتم قصتها بأسماء
وقال شمشون :
- افضحك لأنني هزأت بأهل فلسطين
وحملتهم سخرية
فابتسمت وسألته عن اسمه فقال .
- الرجال يدعونني شمشون
- شمشون الجبار ؟ هل حقا ففت

دليلة تهود شمشون بعد أن سدل اللوم عليه



أمسدا بيديك الصاريتين ، ومثكت
بألف من أمالي فلسطين بمظمة مك
حمام ؟

— لقد كان أمسا صغيرا ، أما عن
الألف من أهالي فلسطين فأنك تعرفين
كيف يبالغ الناس ويخلون في
أحاديثهم

— اني أعرف ذلك حقا لاني دليلا
لحسبها شمشون في اهتمام وقال-

— وإذا كانت أحاديث الناس
صادقة فأنك قد سخرت من كثير من
الرجال بقدر الذين سخرت منهم
— اذن فالأحاديث كاذبة ، لأنني
لم ألتق برجل البتة ... حتى هذه
الليلة

فنظر شمشون في عينيها وطالع
فيهما الدعوة ، ومع هذا فقد تردد
وتلكا ، وكان هذا غريبا من عاشق
كانت طريقته سريعة ومباشرة في
غير تردد أو إحجام

غير ان شمشون كان لأول مرة
في حياته قلقا مترددا مع امرأة ،
نظل واقفا مكانه ، وراحا يتهادلان
الأحاديث حتى أصبحا وجهها يطلو
باحتها تعيط به ظلمة الليل ، ووجه
فيها ذكاء يماثل ذكاءه ، وأتلج قلبه
هذا الاكتشاف ، لأنه وإن كان قد
عشق كثيرا من النساء لم يهو واحدة
منهن ، بل كان يستقرهن من أعماق
قلبه

ونجاة ، وبطريقة عجيبة مثيرة ،
أرسلته دليلا ، لأنها كانت امرأة
عاقلة خبيرة بأصاليب الرجال ،
وكانت على يقين انه سيعود اليها
بلا مراء
وقد عاد فعلا في الليلة التالية ،

وفيما تلاها من الليالي حتى راحت
العداري الساخطات يروون شكائهن
من ان المرأة دليلا قد استطاعت أن
تسجل لنفسها نصرا جديدا ، وقالت
الزوجات وربات الدور انها في هذه
المررة قد لاقت نصحا ، وحسن الرجال
يقولهم ان من الناس من يقسم لهم
أوفر المخطوط

وترددت الأحاديث في الحانات
والأسواق ، ولاكتها الإلس في كل
مكان ، وقال البعض : ان شمشون
سرعان ما يمل ويسام كالعهد به ،
وقال آخرون ان دليلا سوف تنبئه
وتطرده كما فعلت بكثير من نساء
القوم وأغنيائهم

□

ووصلت هذه الأحاديث إلى مسامع
أهل فلسطين ، وقد ظلوا منتظرين
التأثر لأنفسهم من سخرية شمشون
منهم ، فوجد على دليلا مندوبون عن
الرؤساء والزعماء يحملون اليها
أموال الرشوة ، وقالوا لها في الحاح :
— ابشري عن سر قوته الجبارة ،
وأعني على ان شجبك ضعيلا حتى
تستطيع القبض عليه

وانت دليلا في نادي الامر أن
تستمع الى أقوالهم ، لأنها وإن كانت
تعبت بالرجال على الدوام ، لم يسعها
الا أن تميل الى هذا الجار القاتل .
بيد انهم حسبوا لها بقولهم :

— اذا وجدت في مهمتك فستعطيك
أحدى عشرة مائة من القطع الفضية
أحدى عشرة مائة من القطع
الفضية ؟ انها كثرة عطية ، وما
أسهل الظفر بها ، وساءلت نفسها
أني الدنيا وجل يساوي مثل هذا

القدر ! لقد أصبح شمشون يحيا ويهاها حقا ، ولكنه رجل لم يحل للثبات على عهد واحد ، وسرعان ما يهجرها ويتركها ورأسه ليست أغنى مما كانت عليه من قبل إحدى عشرة مائة ! انها تستطيع بها أن تساع الاثواب الحريرية ، والرياش الفاخر ، والزيوت العطرية ، والادوية المبردة

وهي بين أخذ ورد تطلب المتع على الحب ، وبأيمان بسيطة من رأسها أخرجت أهالي فلسطين وفي تلك الليلة ، وفي مسكنها المؤقت بالرياض الفاخر ، والسجاد الوثير ، والستائر المزركشة البديعة ، تسدد شمشون فوق أكوام من الوسائد الأرجوانية ، وراح يمزج معها ويكادها

وسأله في مفاجأة ظاهرة عن سر قوته فأجابها مداعبا :

— يا حبيبتي لو أنك قيديني بسح قطع من المروى فاس أصبح عديم الحول كالقط ولكنك حين أمتحت وجهه ففصر على أن مد ذراعيه فتزقت القطع ، وتقطعت كالحبوب ، وصح بالضمك . ولما رأى قطوب جبينها قال :

— الآن لا تسخطي يا حبيبتي فانك ان شددت وناقى بعمل جديد ، ويجب أن لا يكون قد استعمل من قبل ، فانك ستجديني من الضمك كأي رجل

ومرة أخرى شملت وناقى بعمل جديد ، فتمطط وقطع أغلاله أربا . برعاتت ضحكاته تدوى في الغرفة المظلمة . ولما عتبت عليه دليلا هذه

المخبرية منه ، اقترح عليها أن تجعل جثائل شعره حول منسجها كي تجعله ضعيبا . ولم تتردد لحظة واحدة فقامت بهذا وهي تعتقد انه ينطن الصدق ، ولكنها حين آمنت عملها حطب شمشون رأسه وحلص شعره من المنسج ومعه جانب كبير من آلة المنسج

وعاد يضج بالصحك مرة أخرى ثم تركها وهو يظن انه مما يمت على الجدل والسرور أن يستبدل الإنسان النفل في المرأة أحيانا بأغائنها ومكائدها ، وأن يراقبها ووجهها يتحجب من الغضب والسخط . فقد كان قسمشون يحب من النساء المرأة ذات الزعات والاصعالات

غير أن دليلا كانت تطلب على حمر من الضمب والثورة ، فقد سخر منها الحار الصاحك ثلاث مرات ، وهرأ بها ثلاث مرات كانت على قيد الحياة من ربح إحدى عشرة مائة قطعة من الفضة . وفي كل مرة كان ينزع هذا الخيط من بينها بجعله الصبيانية والصحالي أكثر يقية من الخنا الذي كانت تشهر به نحوه إلى عفت وحقد

لقد شملت الحرب بينهما منذ تلك اللحظة ، وعلى أساليبها وطرائقها . وكان سلاحها في هذه الحرب سلاح الجبال والدلال وسلاح الحب والغرام ، فلما عاد شمشون لزيارتها بعد ذلك استقبلته بالحموة والتدليل ، ولصحت معه الدور الذي تعرف انها خير من تجديده ليلة بعد ليلة خلّت نأى عنه ، وتمسك عن نفسها في حبلوه يبعث

على الجنون ، وكان حين يثور ويحتج
بدافع حبه تقول له :

- كيف استطيع أن أؤمن بهذا الحب
إذا كنت لا تريد أن تتق بي حتى في
الأمور البتاهة ، ولا تركزني إلى بقتك
فيها ؟ وما قيمة هذا الحب إذا كنت
تمسخر مني بالأكاذيب ؟ أخبرني بسر
لوتك وإذ ذاك أستطيع أن أؤمن
بحبك

وفي ذات ليلة وقد مزقه الوجد
جاذبه شمشون وقال لها :

- إن السر في شعري ، قصي
شعري فأصبح عديم الحول والقوة
فولت قلب دليلة ، عاك الحقيمة
لحيرا - لقد عرفتها ووقعت عليها
وطالمتها في عينيه وفي نبرات صوته
البائسة ، وفيما كانت تتظاهر بأنها
قد لانت له ، كانت تسمع نفسها
بالتفكير في خططها ، عليها بادي
الأمر أن ترسل رسالته إلى أمالي
فلسطين

« تناولوا ومكّم الأموال أبو حبل
معه موسى »

ولما أقبلت خادمها بعد ذلك ،
وحسنت في أذنها أن أمالي فلسطين
ينتظرون في الفرقة الخارجية ،
اجتديت دليلة رأس شمشون ،
شعره حتى غلت عيناه

وبإشارة منها تسطل واحد من
الإعداد إلى الفرقة، وفي سرعة عظيمة
قص شعر ذلك الجبار

وحانت لحظة التصار دليلة
وأهانت بشمشون أن يستيقظ
وهي مستقلة اللون ، وقالت له :

- قم فقد أطبق عليك أمالي
فلسطين

واستيقظ شمشون ، وابتسم .
نضال آخر ، وكفاح جديد كما يظهر .
روثب واقفاً على قلمييه واستعد
للمصال، ولكنه شعر بضعف عجيب .
ولما أطبق عليه أعداؤه الغرس الصعب
المسير عليه أن يشتتهم ، واستولى
خمول عجيب على أعضاء جسمه ،
وتخلخلت ساقاه وشعره بالجور
والاعباء

ولاحت منه نظرة إلى المرأة، ورأى
شعره المخصوص ، وإذ ذاك أدرك
الحقيقة لسلم نفسه دون نضال ،
وأخبر نفسه أحناءة ساخرة لمشيقته،
وقيد إلى غزوة . وفي تلك الليلة فقت
عيناه

وقضى شمشون بضعة أشهر
وهو يشغل في سجن غزة بطعن
أحبوب . وكان عملا من أعمال النساء
وفي هذه الأشهر القلائل حاول
أن يالف الصبي ، وكان يعرف أن هذا
فوق احتماله ، هو الذي كان شعاره
في الجبهة ، فقبل حببيته واضرب
خصلته هو الذي أحب الحياة حبا
جما ، وأحب النشاط والحركة
والجمال والمبشرة الحطرة المليئة
بالمغامرات والمخازفات

أن الانتقام وحده هو الذي يجعل
هذه الحياة محتملة ، فراح ينتظر
حتى تناح له فرصة الانتقام يوما من
الأيام ، وفيما كان في انتظار فرصته
كان شعره ينمو ، وما من أحد غيره
كان يعلم هذه الحقيقة



كانت لحظة تخلق في الذاكرة
لقد اجتمع فيها كل نبلاء غزة وكها

والجالاتها للاحتفاء بالقبض على
شمشون ، وكان أكثرهم سكارى ،
والآخرون مترقبين منظرًا مسلياً ،
وبعد أن انتهوا من تناول الطعام ،
اجتمع ثلاثة آلاف من الرجال
والسيدات من كهنة الأسر، وتجمعوا
فوق سقف القصر المنيف ، وكانت
دليلة التي باعت عشيقها من أجل
العصاة صبيحة الشرف في هذه اللحظة
واقترح أحدكم أن يؤتى بشمشون
من سجنه رغبة في تسليتهم ، وحيث
مجهى الجبار عاصفة من الضحك
الصادر من ثلاثة آلاف حجرة ،
وتقدم شبيب يتعثر بقوده غلام صغير
إلى فناء القصر ، وتزيت لحظة بينما
كانت الجموع الضاحكة مطلة من
فوق حواجز الشرفة العظيمة ، وهم
لا ينفكون عن السخرية منهم رأوا
عينه لا تزالان بادبتى المراح ، ويديه
الطبيعتي تترددان في الهواء
وصاح البعض :
- انظروا إلى جيلو زره .
- ما نحن شمشون الجبار إلا ؟
- لقد ذبح أسداً يوماً ما بيديه
إما اليوم فهو يركن إلى غلام
وسمح صوت امرأة وسط هذا
الضجيج تنادى باسمه وجعل شمشون
في وقفته ، لأنه لم يكن هناك غير
امرأة واحدة تناديه بهذه الطريقة .
فقد كانت أبداً تناديه بقولها .
شمشون الرجل المشرق
الذي فهي موجودة كذلك ، لقد
عدله القدر ، وهذه هي النهاية بلا
ريب ، لقد كان ذلك مقدوراً
وفي سرعة هبس في آذن الغلام
- اذهب إلى القصر الذي تقدم

القصر حتى يستطيع أن يستند إليها
وفعل الغلام ذلك في غير استعجال
وانتفض شمشون جلالاً وسروراً حتى
جس نبض يديه المصودتين وقد
تقبضتا على عمود لأنه عرف أنها
العمد الإيمانية لبهاء القصر
وفجأة ساد الصمت الجموع الغفيرة
كأنما قد سمعوا تحطماً عظيماً ، وفي
ذلك الصمت المريب رفع شمشون
عينيه نحو المصرتين نحو هذه الجموع ،
وفي صوت كالرعد قال عيباي !
يا الهي عيني القوة لا تثار لعيني !
وفي سرعة عظيمة وقيل أن يتسكروا
من تعجبهم بحرية اليأس ، احتى
جسمه الضخم ، وفي تلك اللحظة
عرف أن قوته المباركة قد غابت إليه ،
وبمحاولة عنيفة برؤت من جرائها
عسلاته ، وبدفق السرق من جبينه
جذب العمدة ، وشعر بها تتأرجح ،
وتنطق ثم نهض إلى الداخل
وبلغ السقف العتيق والنفساء
ثابه عليه بالرعدة العظيم ، وعلت
صياحات الضحايا ، ودوت في جوف
الليل ، وحبط السقف إلى الداخل ،
وقد دوى في الأجواء صوت سقوطه ،
ووقع عقيمًا وعطماً من أجور وتراب
وحجارة وأحلام وصياحات منوقة
وانقضت دقائق كانت فيها
أصوات المحتضرين عالية رهيبة على
الأمساع ، ثم راحت تختف ، صوتاً
بعد صوت ، ولم يبق أخيراً إلا هسيس
من أبنية متهدمة ومئات من أجسام
ملتوية ، صاعدة ساكنة مخوفة
وتحت هذا المطام جبار رائد وعلى
وجهه شبح ابتسامة

(٠ م ١)

اول امرأة خلق لها قلب لويس الرابع عشر - اجبت
واجبها ، ولكن تخطت عوامل حالت بينه وبينها !

ماري مانيني

عشيقة ملك برفها الدمر

ولويس الرابع عشر * وتزوجت
أخته * هرونيا مازاريني ، النبيل
الاطال لوران مانيني ، وأنجبت
منه أبنائها السبعة الذين جاء بهم
خالهم ال فرنسا فأصبحوا فرنسيين
مثله ، وغضنوا مستقبلهم في وطنهم
الجديد

ماري مانيني ولدت اذن في
روما ، سنة ١٦٣٩ * وعندما دعاها
الكردينال اليه في باريس ، كانت
في الرابعة عشرة من العمر - دخلت
الدير كطيرطي اللة الفرنسية لانها
لم تكن تحب غير الابطاليسه ، لفة
بلادها * وانتقلت من دير الى دير -
أى من مدرسة الى مدرسة - فعرفت
لويس الرابع عشر ، وكان في ذلك
الوقت ملكا تحت الوصاية ، ويكرها
بسنة واحدة فقط * ونمت بين الفتى
والفتاة صداقة متينة - وصداقة
الصبي امتن أنواع الصداقة دائما -
وهكذا شامت الظروف أن يكون الملك
الشباب * بجانب الفتاة الابطاليسه
الحسنة عندما تفتح قلبه للحياة
ونفى بساطة الحب للمرة الاولى

وفي سنة ١٦٥٨ ، مرضى لويس

كانوا سبعة أخوة وأخوات *
جاء بهم الكردينسال
مزاران من ايطاليا الى فرنسا *
فلمبوا جميعا دورهم في المجتمع
الفرنسي ، وكان لهم في البلاط
شان كبير

اما الشابان ، بيير مانيني
وفيليب مانيني ، فقد أنتم عليهما
بلقب نبيل وقتل أولهما والسادسة
عشرة من عمره * وشغل الثاني
مناصب عدة واقترخت ذريته في
أثناء الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩

بقيت الاخوات الخمس * وجميعهن
جذيلات ذكيات ، بل من الشهرة
والجاه قسقا وامرا لاورا ، وماري ،
وأولبيا ، وماريان ، وهورتانس *
وحديثنا هنا يتناول الثانية فقط ،
ماري مانيني ، وهي أشهرهن
وأجملهن ، وقد أوشكت في وقت
من الاوقات أن تقبوا عرش فرنسا
مع لويس الرابع عشر ، لو لم يعمل
خالها نفسه ، الكردينال مزاران ،
دونه تحقيق ارادة الملك !

كان الكردينال مزاران ، الايطالي ،
وزيرا في عهد لويس الثالث عشر ،



أراد ذلك • فقد حدث في خلال رحلة ليون أن أدرك الكروينسال الداعية أن الخطوة التي رسمها للتقرب من اسبانيا ستصبح في خطر إذا لم يتفاد الأمر ويبدأ ابنة أخته عن الملك الشاب • فارغم ماري على النحاب إلى بلدة برواج مع اختها ماريان وهورتانس • وحرم عمل الثلاثة مفادرة البلدة بلون أذن منه • ولكن الملك نفسه ذهب من مدينة ليون سرا ليلتقي بعبيته في بورجو ١٠٠

غير أن إرادة الكروينسال كانت فوق كل إرادة • فإن ذلك الرجل الحديدي كان يطبع أهدافه السياسية ومصلحة الدولة فوق كل هدف ومصلحة • وقد يكنى الملك عندما أنشروه خبر موافقة الدولتين لفرنسا واسبانيا - على زواجه وبكت ماري مانسيني أيضا • وكتبت إليه تقول: **• أحبك وأنت تحبني لا أمك في هنا •** وبكك ملك والعرش أحكام • يجب أن نخصم لها جميعا • فالوداع • فأمكنه كتب إليها من ناحية يقول: **• أنتي أرضي بالزواج من أميرة لا أعرفها عملا بمقتضيات التقاليد • ولكنني أحبك ولا أحب غيرك! •**

وكن الكروينسال أن زواج الملك سيخضع في نفسه عاطفة الحب نحو ابنة أخته • ولكنه أدرك سريما أنه خطأ • فقرر أن يجسد لها من بين أشراف المملكة زوجا يليها ويصنعها عن الملك لكي تقطع كل علاقة بماري الرابع عشر • وبعث بمن عظماء

الرابع عشر وهو في مدينة كاليه • فلأزمه ماري مانسيني وكانت تسهر عليه في الليل وتقدم له الدواء بيدها • مما ضاعف تعلقه بها وميله إليها • وبعد شفائه من مرضه فاتحها للمرة الأولى برغبته في اتخاذها زوجة له • وجعلها ملكة تشاركه عرش فرنسا • وتقبلت الفتاة طبعها هذا الاعتراف من الملك بالفرح والاعتباط • ولكن الكروينسال مزاول • القاضي على زمام المملكة بالنيابة عن الملك الشاب • لم يستبط ويفرح من ناحيته • بل أبى منذ اللحظة الأولى عدم رضائه عن اتفاق الشابين وتماديها في الحب •••

وقامت الأسرة المالكة برحلة إلى مدينة ليون • فلما لويس صديفته لمرافقته في تلك الرحلة قلبت المعرة • وتجلت علاقة الملك وماري أمام رجال الحاشية ونساء القصر • فأدركوا جميعا أن لويس الرابع عشر قد عثر على الفتاة التي تجلس مع عميل العرش • وكان رجال السيامية لكي حينذاك يتفاوضون مع اسبانيا لكي يخطبوا للملك الأميرة ماري تريزا ابنة الملك فيليب الرابع • حامله لقب دوقة النمسا • وهي التي عرفت في التاريخ باسم • ماري تريزا دوريش • • فباغت المرأة بماري مانسيني أنها كانت تصرح أمام نساء الحاشية الملكية بأن المفاوضات لن تنجح وإن الأميرة الاسبانية لن تجلس على عرش فرنسا •

ولكن المفاوضات نجحت وتم الزواج في سنة ١٦٦٠ لأن مزارك



لوس الرابع عشر : اجدى
واجبه ولكن القرون حالت بينهما



الكرناتال مرفون ... ولور
لوس الرابع عشر وعال ملى

فرنسا فلم يجد بينهم من تتوافر فيه الشروط التي يطلبها فوق احتيابه في النهاية على الأمير كولونا من اشراف نابولي ، ورضيت ماري بأن تزوج ذلك الشريف لا لأنها تحبه بل لان حالها ازاده روجا لها . وشاعت الاقدار أن يموت الكردينال قبل أن يتم عقد الزواج الذي عهد له . وكان يوم ماري مانسيتي أن تلصق الخطبة وتعدل عن الزواج ولكنها أبت إلا أن تنفذ رغبة خالتها بعد موته ، في سنة ١٦٦١



وغادرت الحناء فرنسا ، في موكب عظيم ، يحرمه جنود الملك ويحمل معه الهدايا الثمينة التي أراد لويس الرابع عشر أن يقدمها باسمه وباسم أسرته وبلاطه إلى الفتاة التي أوفسكت أن تصبح ملكة فرنسا . وعاشت ماري مانسيتي ، وقد صارت تحصل لقب أميرة كولونا ، خمس سنوات في نابولي على أحسن ما يكون من الوفاق مع زوجها . وورثت عنه ثلاثة أبناء ، وكانت دارها الضيقة ملتقى الطبقات السهلة في المدينة . وكانت هي سيئة المحرم ليس فقط في نابولي بل وفي إيطاليا بأسرها . وقد كتب عنها بوزانتى يقول : « إن بيت مانسيتي أجمل نساء هذا العصر » . وماري مانسيتي أجمل الاحوات الخمس على الإطلاق . ولكن الخلاف دى بين الزوجين في سنة ١٦٦٦ . وعينها حاول اصدقاء الطرفين أن يعيدوا المياه إلى مجاريها فقد فشلت مساعيهم . فانفصلت

ماري عن زوجها ، وأقامت وحدها في قصر مسزل ، وراح الأمير كولونا يتنفس في حياة كلها بدخ واسراف وعريضة . وبلغ به الاستهتار بالمجتمع أن دعا للإقامة معه في قصره اثنتين من عشيقاته الكثيرات ، فتارت قائرة الزوجة بالرغم من أنها كانت منفصلة عنه وأرادت أن تهجر نابولي وتتمكن في البندقية ، فمناها زوجها من ذلك في سنة ١٦٧٢ ، ولكنها هربت متكررة في ثياب رجل ، ومعهما إحدى اخواتها . وبمسد التتقل من مدينة إلى أخرى ، ذهبت الاحد هورتانسي إلى تورينو ، وواصلت ماري السفر إلى باريس ، ولكن خيبة الامل كانت تنتظرها هناك . فبدل أن ترى الملك يرحب بها ويفتح لها أبواب قصوره ، رآته على عكس ذلك يأمر بأرسالها إلى الدير ، فأقامت فيه معززة مكرمة . وعين لها الملك معاشا ولكنه لم يستقبلها فشمعت جزد شعده وأهدت أنه لم يعد لها أي أمل في استئناف حياة رغبة في باريس . وغادرت فرنسا من جديد مع أخيها فيليب إلى إيطاليا حيث استقرت في ميلانو

وحاول زوجها أن يعيدها اليه فهربت مرة أخرى إلى بلاد فلاندر ، عطاردها كولونا . وتمكن من استصدار امر بالقبض عليها ، وادغامها على دخول الدير في بروكسل . حينذاك رأت المرأة أن لا مسيل للتخلص من ذلك الزوج وملاحقته إلا بالفرار إلى بلد لا سلطان له ولا للملك فرنسا عليه ، فهربت من الدير وتمكنت من

الوصول إلى إسبانيا في سنة ١٦٧٤، وأقامت فيها ١٧ سنة بدون أن تغادرها . . .

ولكنها لم تعرف فيها الهدوء ولم تنق طعم الراحة . فإن الملوك والأمراء في ذلك الوقت كانوا يتمتعون ويساعد بعضهم بعضا في قضاء مآزهم الشخصية ، بالرغم من العدواة السياسية القائمة بينهم . ولم يكن لماري مانسيتي من يشفع لها لدى البلاط ، لا في فرنسا ولا في إسبانيا ولا في غيرها من البلدان ، بالرغم من جمالها المفرط وحسنها الفتيان . ولهذا ، فأننا نجدها في إسبانيا حائرة لا تعرف إلا أن تطلب ولا عسى من تعتمد . فإن زوجها المفقود يثير عليها الناس في كل بلد تحل فيه ، ولا يترك لها غير أبواب الأديرة تطرقها ، ففكرت ذات يوم أن تدخل الدير مرة أخرى لالتمس فيه كسيفة عابرة . ولتتفق الثوب وتصبح راحية . ولكن حياة الراهبات لم تكن لتروق الحسنة التي عرفت مباحث الدنيا وزخارفها فأرادت أن تستعيد حريتها كاملة وتغادر مغرب إلى النمسا ، غير أن زوجها تمكن من حمل السلطات الإسبانية على القبض عليها وسجنها . ولم يتفادها من هذه الحالة غير موت الأمير كولونا في سنة ١٦٨٩ . . .

حيثما فقط أصبحت ماري مانسيتي حرة من كل قيد . ولكنها بلغت الحسنى من العمر . فهل تفكر في الزواج مرة أخرى ؟

لقد فكرت في ذلك ولكنها عدلت عن تنفيذ الفكرة عندما استعرضت ماضيها وأدركت أن مستقبلها سيكون عرصة لتلاعب جديدة لخاصة اتعلت لها زوجا ثانيا . ففكرت حينذاك السفر إلى إيطاليا لمشاهدة أبنائها ، وغادرت إسبانيا في سنة ١٦٩١ بدون أن يعترضها أحد ، بل سافرت مشبعة بالأكرام والأجلال من الملك والملكة .

رأت أبنائها ، فرجوا بها واقسموا لها بأنهم سيستقانون في حبها والعناية بها . لكن تنسى معهم ما فاقته من عذاب مع أبيهم كولونا ، وعادت الاقمار فابتسمت للسراة بعد أن طلت سنوات عديدة غائبة في وجهها .

وانتقلت ماري إلى إسبانيا من جديد . ثم عادت إلى إيطاليا بعد أن ذهبت إلى باريس ، ومالت في مدينة بيزا سنة ١٧١٩ وهي في السادسة والسبعين من العمر .

وفي السنة ذاتها ، مات لويس الرابع عشر ، الذي أوشك في وقت من الاوقات أن يحصل منها ملكة لفرنسا ، والذي حقق قلبه للمرة الأولى بمحاولة الحب لها . وكان الملك في السابعة والسبعين . ومن فرائب الصدف أن يولد الإثنان في سنة واحدة تقريبا ، وأن يموتا في سنة واحدة ، وأن تجتمع الظروف بينهما في باديء الامر ثم تفرق بينهما السياسة .

كاترين الثانية

الجمال الذي حكم روسيا

بقلم الدكتور أمير بقطر



لوييس السادس عشر ، لوج ماري
انطوانيت

كان بطرس الأكبر شديد الرغبة في التزاوج روسيا من أمهيا وحضارتها البدائية ، وادخالها في قلب أوروبا وعقليتها الساحرة الخيالية ، فتنقل بين عواصمها ، واتصل بملوكها ، وتعلم كيف يعمل في مصالحها وأحوالهم (لم يكن في مرامها) ، وأنشأ مدينة بطرسبرج لتكون نافذة تطل منها روسيا على أوروبا ، وحلق دقون القواد والرهاد والتساوسة ، وبيع ابنه الكسبي ذبيح الشاة ، حتى لا يقطع في الملك ويرجع بالبلاد الى اسبوينها ، وزوج حفدا من الأميرات من بناته وبنات أخوته لفترات أوروبا وملوكها ، حتى تزيد المصاهرة ارتباطا بمدبنيهم . ولم يفر يخلقه أن العرش بعده ، سيصبح فريسة لؤامرات وعصابات أجنبية ،

اعتلت كاترين الثانية عرش روسيا عقب فترة صاخبة من فترات التسياربخ ، ظلت فيها تلك الامبراطورية المترامية الأطراف ، زهاء أربعين عاما ، ترقص فوق فوحة يركان تسين السنة التي بدأت فيها بطرس الأكبر (١٧٢٥) ، يظل الشغل على تلك التي جلسه فيها كاترين على العرش ، ابتليت روسيا بسنة حكام من حشالة الأمراء والأميرات ، وأخط الإبطرة الذين آل اليهم تاج الامبراطورية ، فهم ثلاث نسله خليعات مستهترات ، وطفل عمره ١٢ عاما ، ورضيع عمره سنة ، وغر أبله في العقد الثالث من عمره ، كان شغله الشاغل في البلاط القيصي يمسك من الدمى الخشبية ، كما كان يفعل ملك فرنسا الاحمق المافون ،



شهد لها اعتناها قبل
اصداقها باتها عريقة ..
عقريه الجمال والسياسة
والمسلم .. والادب

بطرس الاكبر ، واخيرا تولى الملك
المر الذي سبقت الاشارة اليه ،
بطرس الثالث ، ابن اميرة
هولشتاين ، التي كانت يوما ما تطالب
بعرش السويد . ومن عساخر القدر
ان كاترين الثانية فائنة التلويخ ،
كانت زوجة لذلك الابله ، التي ان قطه
رجال حاشيته فتولت الحكم بعده
وتنفست روسيا بحديثها الصعده

يبدأ قصة الاسراطورة كاترين
الثانية وهي غادة ناعلة هيفاء في
الراصة عشرة من عمرها ، حلوة
القسمات ، متميلة الاعطاف ، تنمو
اكبر من منها جساما وعلاوة عاطفة .
لم تكن روسية ولا تحت لروسيا
بصلة . اسمها الاصلي قبيل ان
تنزع الى روسيا « الاميرة صوفيا
اوجينا » ، كان ابوها مارشالا في

وخيانات داخلية من اشراف الروس
الذين اعتنقوا مبادئ أوروبا
وتغالبوها ووطنوا بلغتها ، فانقطعت
الصلة بينهم وبين الرعية

خلف بطرس الاكبر على العرش
زوجته الثانية كاترين (الاولى) ،
وهي في الاصل خادمة من لتوانيا
لاحق لها في الملك . ومنها الى العرش
بعد سنتين الى فيها بطرس الثاني ،
تجبل ذلك النقص الكسمن الذي
ذمه ابو بطرس الاكبر بدموعه
بطرس الثاني في الخامسة عشرة من
عمره فخلعته الاميرة آن . Anne .
ننت اخي بطرس الاكبر (القيصر
الطرطور يوحنا الخامس) . وسرعان
ما قضت نحبها فقتل التاج الى
ابن اخيه جون السادس ، وكان
عمره سنة واحدة . ولم ينقض
عام حتى خلف من الملك ، واعتلت
العرش اليمصبات البيت المصري

جيش يروسيا وأمهل من أسرة فردريك الأكبر - ولم تكن أمها من لوث انيسلر ، فقد دخلت روسيا وبنتها موفيا لا تطك من الثياب سوى ثلاثة فساتين - وسرعان ما استقلت عن أمها التي سلت سمعتها فطردتها الحكومة وسرعان ما جلبت ثروتها العائرة وجمالها الفتلان الأنظف والقلوب ، فزوجوها لذلك الإبله الذي آل إليه العرش باسم بطرس الثالث . وكان زواجا غير موفق من البداية . فقد كانت مثقفة وهو جاهل ، ذكية وهو غبي ، وكان هو شديد الكراهية للأرثوذكسية حتى أنه اضطر كهنتها إلى ارتداء ملابس القسوسة الألمان البروتستانت ، وكانت هي تعشق الأرثوذكسية . وفوق ذلك فإنه عاش جهرا مع خيلات فاسدات بعدد عنها ١٧ ولما كان الجيش مهبطا ، فقد حولت الملك عقبه وفاته مقتولا مباشرة

الإمبراطورة العبقرية

كانت تنابع اسمى أنواع الثقافات الأدبية خطوة خطوة ، فقد عشقتها على حد قولها منذ أن وقع في يدها أحد مؤلفات فولتير . وظللت منذ ذلك الحين في شتى الموضوعات - من كتاب بلاكستون في القانون إلى المؤلفات في التاريخ الطبيعي ، ثم حكمت على تصفح تاريخ روسيا والتعمق فيه

إلى أقصى حد . واشتغلت عنايتها بالكتاب والأدب ، فرفضت إلى السمك في حاشيتها الثمراء وبالف في تكرعهم ، واستلهمت منهم الوحي . وفضلهم ألقت كتابا في الأدب يتجاوز عندها الحصر . وكان سيل الرسائل التي تدونها يوميا تغبض دقة وعلمية حيناً ، وقوة وقسوة وشدة مراس حيناً . ومع ذلك كانت في تواضعها تأتي أن تفاخر بأدبها الرفيع ، وتكرر القول أن صناعتها الإدارة والسياسة والبلطوسية قبل كل شيء ، وأن الأدب مجرد هواية من الهوايات العفيدة التي تفوقت فيها ، لا سيما النقش على الصوف والخمر على الخشب والنحت والتصوير

والواقع أن الجميع ، بما في ذلك أعدائها الذين تضامنوا مع روحها صحتها ، قد شهدوا لها بأنها كانت متبرية سياسية منقطعة النظر . وقد سجلت مواهبها في مقدرتها على التوفيق بين البيضة الصاخة المضطربة التي كانت تعيش فيها ، والإصلاح الشامل الذي كانت الإمبراطورية تتطلبه . وتجلت كياستها السياسية ولماقتها البلاطوسية في الرسائل الفريدة التي كتبت لتبادلها مع كل من فردريك الأكبر ، وجوزيف الثاني ، ودي لامير ، وغوتير ، وكبلر قوادها ، ورؤساء إدارتهم لا سيما الجنرال

« بولكن » ، وكبار الادباء الفرنسيين الذين يطلق عليهم اسم Encyclopedists وكانت هي واحد منهم .

ومن هؤلاء « جريم » الذي كتب عنها يقول انها كانت تتدقق في حديثها الادبي العلمي كالقدير الصافي ، وكانت كل كلمة تخرج من فمها تتالى وكثير ما حولها ، حتى انه كان يستغرق بعد كل مقابلة معها في تأملات عميقة ، ويلرق في فراشه الى ساعة متأخرة

ويبلغ من نشاطها انها كانت تستيقظ في الساعة الخامسة صباحا وتوقد النار في المدفأة بنفسها ، وكثيرا ما كانت تقضى ١٥ ساعة يوميا في تصريف شئونها . وكان لها اربعة من كائني اسرارها ، وصعد كبير من السليدين والوظفين والخدم ، وكانت تحرص على مراعاة شعورهم وكانت طريقتها في العمل ذميمة ، لا المانية ولا فرنسية كما كان الموثق ، كما انها رغم اصحابها بالثقافة الادبية ، لم تكن كبطرس الاكبر كثير الرحلات والاسفار الى الخارج ، وانما كانت كثيرة التنقل في ارجاء بلادها برا ونهرا لتفقد شئون الدولة وصوالج الرعية . وكان افراد حاشيتها اشد ذكاء من رجال بطرس الاكبر ، ويرجع الفضل في ذلك الى ذكاتها

لغراميات امبراطورة

كان لابد لامرأة فتاة ككثيرين

اجتمعت فيها كافة المزايا التي يحبها الرجل ، معص النظر عن كونها امراطورة ، ان يكون لها عشاق من رجال البلاط ومساحط الجيش ، تحسب معهم اوقات الفراغ ، تقدم لهم اشهى انواع الطعام على اخصر الموائد ، وتولم لهم الولائم والحفلات الساحرة الراقصة ، وتبادل معهم كؤوس الشراب متبعة باجود انواع الخمر . ولما كانت ككثيرين مثل السجاعة والشجاعة القوية ، فقد كانت تصطحب من العشاق غير هؤلاء ، نفرا ممن توسلت فيهم المقربة الادارية . والرحولة والسجاعة والقوة . وقد كانت لا تأبى ان ينزل احدهم الجالسة على العرش ويبادلها عبارات الفرام « لامييا « بولمكن » الذي كانت تفاخر به قائلة انها تعشق فيه جراءة العمل وجراقة قلب وجراقة الروح ، وان الرسائل التي كانت تتبادلها معه ، كانت شبيهة بما يكتبه رجل لرجل . مع فرق واحد ، وهو ان احدهما كانت امرأة ساحرة جميلة !

وبالرغم من انها تولت الحكم على اعقاب حقبة لم تشهد تاريخ روسيا ما هو اشد منها مأسا وظلاما ، فانها استطاعت بلقاءتها ان تحسب من رجالها سياسيين . اتحدثهم لها اصدقاء ومحبي . وفي مقدمتهم شان يصعدونها سنا كانت تتابع في

لذليلهم كأطفال معززين ، تفسح
لأفراحهم ، وبكى وتحزن لأحزانهم
سنان ومؤامرات واعتصبا !

على أن حكمها كان من بدنه إلى
ختمه سلسلة متصلة الخلفات
من النعماني والمكائد والمؤامرات ،
ولا عجب في ذلك فلم تكن كاترين
ولادة شرعية للعرش ، ولم تنحدر
من سلالة ملوك روسيا ، وقد حالت
في خلال الـ ٢٤ سنة التي حكمت
فيها دون الوارث الحقيقي للعرش ،
إنها بولس . Paul ، الذي
كانت اليزابيث تنوى تنصيبه ملكا
بدلا من أبيه الإحق . كذلك كان
أحد المستحقين للعرش الطفل يوحنا
السادس الذي تولى العرش سنة
وأحده ، وقضى البقية الساقية من
حياته في السجن . ظلت كاترين سعد
أفانها وتضمن عيبتها حتى لا تسمع
رقعة هذه المكائد ، وظلت تتوكل
حياتها تطغى كل فتنة ، وهي تقول
أن أصغر شرارة تكفي لحرق بطرسبرج
وتحولها إلى كومة من الرماد
وكان ادعى المطالبين بالعرش في
عهد كاترين ، الأميرة « تراكوتفا »
بنت الأميرة العزلة اليزابيث ، كانت
آية في الجمال ، غابة في الرشاقة
وزلاقة اللسان وسرعة الخاطر ،
مضجرة ، انتف حولها رهط من
الشقاق الإحانب ، من طليان وألمن

واتراك . وكانت ملعة بأكثر لسات
أوروبا ، متصلة بأرقى الأوساط
الاستقرائية الاجتماعية في لندن
وبلريس . ولم تكف من الكيد
للجائسة على العرش إلا بعد أن
أقواها أحد رجال كاترين ، زاعما
أنه يعشقها ، وجسها في قلعة
القديسين بطرس وبولس ، إلى أن
مات بالسبل بعد أن كتبت عشرات
الرسائل تستعطف فيها الأسباطورة .
ويبلغ عدد المطالبين بالعرش رقما
خياليا ، فاضطرت إلى نفيهم إلى
سبيريا بعد تحقيرهم وعرضهم في
الشوارع ، وكان منهم كبير أساقفة
روستوف أشد أعدائها قسوة

وقد تعرضت لمشكلة أخسرى
اجتماعية لم يكن في وسعها التغلب
عليها ، فظلت كانت مشكلة الأشراف
الذين كانوا إيمانلون الفلاحين معاملة
العبيد والخدم ، وقد كفوا ببطرس
الأكبر يجوبون أوروبا ويتصلون
بثقافتها . ومع ذلك لم ينتقصوا
بعباء الإنسانية . Humanitarianism
الذي كان منتشرا في ذلك العصر
ففسد كانت أوروبا مسرحا لآراء
جديدة في حرية الفرد ، بدأت أولا
في إيطاليا باسم عصر النهضة العلمية ،
وثانيا في ألمانيا باسم الإصلاح الديني .
لم انقلب في إنجلترا إلى ثورة
اجتماعية سياسية ، تجمعت



لويس



لويس جوزيف

امثال هؤلاء فردريك الاكبر (١٧١٠ - ١٧٨٦) في بروسيا ، وجوزيف الثاني امبراطور النمسا (١٧٦٥ - ١٧٩٠) ، وشارل ملك نابولي (١٧٢٥ - ١٧٩٦)

العمل به السياسة

في حقيقة جهودها الإصلاحية التي تشهد لها بالبراعة الاضطربة انها أصفوت مجموعة من القوانين فريدة في بابها سميتها « نكار » وهي كلمة روسية معناها التعليم ، تألف من ... مادة حريثة ، أنشر عليها مستشاروها بتخفيضها الى النصف وقد اقتبست كثيرين شطرا كبيرا منها ، من مؤلف مونتسكيو الشهير « روح القوانين » (Esprit des lois) وكتاب « الجرائم والعقوبات » لبيكرنا . لما بقية المواد فكانت من

مبادئها في كتابات كل من هوبز ، ولوك ، ثم في مؤلفات فولتير وماتو الكتاب الفرنسيين الذين حملوا حملة شعواء على بقايا الانقطاع ، ولعصب الكنيسة الكاثوليكية تحت اشرف الاله اليسوعيين (الجرويت)

وقد كانت كثيرين من اكبر انصار هذه الآراء ، بل انها تطبق في ثقافتها على هؤلاء الانسانيين . ومع ذلك كانت مغلوطة اليدين . اليس غريبة عن روسيا ، دخلت عليها؟ فاني لها أن تتحكم في الاشرف ؟ ولضلا عن ذلك فان هذه الآراء وحسرية الفرد التي آلت الى الثورة الفرنسية لم تكن بعد قد تبلورت في أوروبا ، فقد كان حكمها لا يزالون يباحون بالهوية الثقافية الصلبة التي كانت تفصلهم عن الرمايا ، وكان يطلق على حكمهم الاسم التاريخي المشهور « الحكم الاستبدادي الاربعى » « Benevolent despotism » . ومن

هذه في ادخال الكثير من التعديلات
الادارية ، التي أصبحت نواة للحكم
الفالي المحلي والامركزية ، وقد
ألفت الاجراءات والقوانين المجعفة
بحقوق الشعب ، واهتمت باصلاح
الطرق والمواصلات البرية والبحرية ،
ومشروعات الري ، وأنشئت
المستشفيات الكبرى في موسكو
وبطرسبرج ، وأنشأت كلية الطب ،
وقدعت نفسها للطبيب لحقنها ضد
الجدري ، حتى ينسج على منوالها
أفراد الشعب . بيد أن الكثير من
مشروعاتها الاصلاحية بقي حبرا على
ورق ، مثال ذلك أنها ألغت الرقيق
سنة ١٧٧١ واضطرت الى إعادته
سنة ١٧٧٣ . وكان العبيد يولقون
بالسلاسل ويجلدون لآل هي الأسباب
ومن أمثال ذلك أن العبد كان عقابه
٥٠٠ جلدة ، إذا سب من تناول
المثلد الريالي في الكنيسة
وبالرغم من اهتمام الاشراف للثقافة
الادبية ، فإن معاهد التعليم
الروسية قيد أصبحت بسبب
معالجتهم قرويا قرويا ، يتفقون فيها
الوانا مع الرقص والتعجيل وسائر
الفنون الجميلة . ومع المهام بمؤلفات
روسو وغيره من « الانسانيين » ،
فقد كانوا لا يتورعون عن توقيع
العقوبات الاليمة على عبيدهم لمجرد
التسلية . وقد عانت كاترين في
صدهم من غيهم اشتباها متاعبها والواقع
أنها جاورت في اصلاحاتها وشاغلها
السياسي والزعيم بروسيا غسريا
الى أوروبا ، ما التجزء بطرس الأكبر
من الاعمال الحولة الباهرة ، لا سيما
فيما يتعلق بالدور الخطير الذي

مبتكراتها . والى القاريه نماذج من
هذه المواد ، التي استعملتها في المادة
الاولى بقولها « تعلمنا المسيحية أن
نحسن معاملة بعضنا البعض » : -
« العدالة لا يقصد بها توقيع
المقوبة بقدر ما يقصد بها منح
الجريمة » . « وظيفة الملوك والباطرة
أن يكونوا خدما للرعيا » . « معنى
الحرية اطلاق الحنان لتعصب للقيام
بكل ما لا يحرمه القانون » . « العبودية
لا يسمح بها بشئ الا اذا كانت لازمة
لكيان الدولة » . « من الخطر
تحرير العبيد مرة واحدة » .
« العبودية لا مبرر لها ، الا لصالح
الزراعة »

وقالت كاترين عن هذه المجموعة
أنها ألف بام السياسة ، على أن
فرنسا منعت نشرها ، وذلك بمكس
فودريك الأكبر الذي لم تكن تملكه
النسخة المهداة اليه من كاترين ،
حتى جعلها مضمون قرويا في جميع
برلين العلمى (الاكاديمية) .

ومن اصلاحاتها أنها أنشأت صوبا
نيابيا مكونا من ٥٦٤ مضمونا من
جميع أنحاء روسيا لبحث مطالب
ناخبهم . وكان يحكم بالفرامة على
كل من يسى قولا أو فعلا الى صغار
الفلاحين . وظل المجلس ١٨ شهرا ،
مسرعا للمساجلات والمناقشات
لصالح الدولة وخدمة الشعب بالرغم
من معارضة الاشراف واحتجاجاتهم ،
ولم يعطل جلساته سوى قيام الحرب
التركية سنة ١٧٦٨

وقد نجحت كاترين علوة على

لويس السادس عشر وماري أنطوانيت
ومرضت ، وجن جنونها لانتقام
الاقارب ، وتسببت عما عساه أن
يحدث لأوروبا إذا ما حلت دولها
حظو فرنسا . وأصدرت أوامرها
بتحريم الكتب الفرنسية ولعلان
الرقابة على المطبوعات . وأصبحت
أوروبا كلها تنظرها الثورة الفرنسية ،
فأصدرت أبواب روسيا التي تؤدي
إليها ، بعد أن كان منها توسيع
هذه الأبواب وزيادة عددها

ولولا تقطيع أوصل بولندا ،
والقرصنة التي شلوكها فيها فردريك
رغم احتجاج ماريا تريزا ، في
تقسيم تلك الدولة الكينة ، ولولا
حياتها الشخصية التي كانت لا تطو
من العجور والاستهزاء ، ومصابة
بصغار الفسلط ورجال الخائنية ،
والانغماس معهم في شتى الملاذ
الحيوانية (مهاجرة بيت الخن - لولا
ذلك لكانت لها التلويح في صفحاته
آيات يسيب

ومع ذلك فقد ظلت تتوج رأسها
هالة من العظمة والجلال والجمال .
والحصافة وقوة الإرادة وصلابة
الشكيمة ، إلى أن قضت نحبها في ١٧
من نوفمبر سنة ١٧٦٦ وهي السنة
التي ذاق فيها نابليون أولى انتصاراته
الحرية في إيطاليا

قامت به في تقسيم بولندا بالاشتراك
مع فردريك الأكبر البروسي وماريا
تريزا امبراطورة النمسا ، مما
أتمت به رقعة روسيا وامتدت
حطوها حتى اخترقت قلب أوروبا
الوسطى . ولئن كان بطرس الأكبر
قد أنشأ بطرسبرج لتكون نافذة
تطل بها روسيا على أوروبا ، فإن
المساحة الكبيرة التي اقتطعتها كاترين
من بولندا ، أصبحت منعلا تتسلل
منه روسيا إلى أوروبا الوسطى بغير
استئذان

خيمة عمل

لم وقعت الثورة الفرنسية سنة
١٧٨٩ ففتحت بابا جديدا في تاريخ
روسيا . وينصح من القسرات
السافة أن فرنسا بثقافتها وحضارتها
الرفيعة كانت المثال الأعلى لاشرف
روسيا ، وكانت بالنسبة لكاترين
بالذات حصنا متيناً تحتمها وراة ،
كلما أدخلت غوانيجي أو أمشروحات
تقلعية . ولكن ما كادت تبلغ مسلمها
حوادث الثورة الفرنسية حتى
استولى عليها وعلى الأشراف اللعول
والسخط والاضطراب إلى كيف
يسوغ للشعب أن يرفع المظلمة على
الرضوخ لأوامره ويتنزل من حقوقه
الشرعية ؟ واستشاط غضبا عند
سقوط الباستيل ، ولحوت لاعنام





مقام ريكامبيه ... للفنان جاك لويون داليد

مدام ريكامبيه فاتنة قدرت الأدب والسياسة

طبعته المتوسطة
بيد أن جمالها كان أخاذا فلم تكذب
أناظر جاك ريكامبيه تقع عليها حتى
فثن بها ، وسحر بطف دلتها وتقدم
إليها رغم سنه الكبيرة ، ورغم أنه في
عمر أيها أو يزيد ، ولكنه كان
متدعيا بسلاح قوى جبار ، هو
سلاح المال ، فقد كان جاك ريكامبيه
أحد رجال المال والمصارف
وتم زواجها منه وهي لا تفك في
الخامسة عشرة من عمرها ، ومنذ
ذلك الحين صرفت باسم مدام

لم يكن الأب الطيب يمدح لابس
ذلك المستقبل العظيم ، ولم يكن
يدور في خلدته أنها ستبلغ في عالم
السياسة والأدب ذلك التساو
الجليل
كان اسمها برنار ، وكانت وهي
فتاة ، رائعة الحسن ، فتاة الجمال ،
وشيقة القوام ، ساحرة التحفظ ،
وعلى الرغم من هذه الفتنة الصرخة
التي يشبها هذا الجسم المص
الرشيق ، فقد ظل أبوها لا يرجو
أن تجد ابنته لنفسها إلا زوجا من

ريكلييه

وكانت متوقفة الذكاء ، شديدة الطموح ، واستطاعت بجهودها الفردية أن تنال قسما وافرا من الثقافة ، وأن تطالع الكثير من كتب الادب

وأتاح لها ثراء زوجها أن تقيم في دارها - سالونا لرجال الادب والسياسة ، يؤمنون ويعومون حولها فكانت بينهم كالسكوكب المتألق ، والنجم الساطع ، وتنقل بينهم كما تنقل الممرات ذوات الألوان الجميلة ، والعيون محدقة بها ، تكاد تلتهمها

وكان حسب زوجها أنه اقتناها في داره ، كما يقتنى الرجل الثري التحف النادرة واقطع الفضة الرائعة يزين بها داره ، ويفخر باقتنائها

أعالم أصدقائه ولترددوا عليه

كان زوجها يعرف أن زوجته فتاة ساحرة في حسنها ، وأنها مطعم لأولئك الرجال الذين يترددون عليها ، وأن من بينهم رجالا عظماء في عالم السياسة ، وآخرين فحولوا مرزوق في عالم الادب ، وإلى جانب هذا فمن أولئك وهؤلاء شبان في ريعان الشباب ، يمتزجون عنبرة الصبا ، ووسامة الوجه ، وسحر الحديث

ويذكر المؤرخون أنه كان لها مشايك كثيرون كان من أبرزهم

ماتيو دي مونت مورنسي ، ولويسيل يونيوت والبرنس أوجستاس البروسي وبالاتش ولبيير وكونستين وشاتوبريان وبروسيل دي بلانت غير أن الذي قال بتعصيب الأسد منها هو الفيكونت فرنسوا رينيه شاتوبريان ، وهو مؤلف فرنسي يعد من أكبر أدباء فرنسا ، وكل من يكبرها يتبع سنناته إذ كان مولده في عام ١٨٦٨ ، وكان مولدها في عام ١٨٧٧ ، وكان في بداية عهده يناهض الآراء التي كانت سائدة خلال الثورة الفرنسية

وما كان

شاتوبريان محبا مخلصا بل كان خائفا للعهد ، متقلبا في أهوائه ، أحب أول ما أحب بولين دي

موس بمقدار تردد على سالونها ،

وبدلا قلبا واقرنهم فترة طويلة من الزمن ، وكانت بولين تعاونه في حياته الادبية والسياسية وساعدته في اخراج أول كتبه ، وكان عنوانه (عطا الله : غرام بلويين في الصحراء) فهل كان شاتوبريان مخلصا لها ، ولما في حبه وغرامه ؟ ثم يسكن الاخلاص في خلقه ، بل كان نراها الى اللهو وإلى التقلب في حبه

يبد أن المرأة الوحيدة التي ظفرت بقلبه واحترامه ، كانت هي سدام ريكلييه ، وقد وضع حبه لها وتقديره واحترامه في

ابنية طيب متوسط الحال ، رفعا جمالها الى ذروة المحمد والسمرة . فصنعت الادب والانداء . . . واشتعلت بالسياسة . . .

بالقدر الذي تريده لنفسها ، وبالقدر
الذي تتمتعش اليه



ولقد كان سالونها بمع برجال
السياسة وخاصة أنصار الملكية ،
وكانت هي تنهض سياسة نابليون
بوابرت ، وبلغ من شدة وطائها
أن أصلو نابليون أمرا بنفيها من
فرنسسا ، فرحلت من باريس إلى
مدينة ليون ومكنت فيها فترة
قصر ، ثم تلبعت وحطتها حتى
وصلت إلى مدينة روما عاصمة
إيطاليا ، وأخيرا وصلت إلى مدينة
نابلي

وفي نابلي اتصلت بالجرال موروا
وزوجه ، وبدأوا جميعا يتآمرون
مع آل بوبون لعودة الملكية

وقد استطاعت أن تجعل كونستان
أحد كبار الساسة الفرنسيين بقوة
تخصيصها وسحر جمالها على أن
تدافع عن طلبات موروا المقضمة إلى
مؤتمر ريجيا الذي عقد بعد المائة يوم
التي استولى خلالها نابليون على
الحكم بعد عودته من جزيرة الب

وكان زوجها عام ١٨٠٥ قد تكبد
بصائر مالية فادحة امتلأ على ثروته ،
يبد أن زوجته ظلت تفتح أبواب
دارها للوافدين عليها

وكان شاتوبريان هو الذي ظل
يلزمها في تلك الأيام ، ويتردد على
دارها ، وكان في الواقع هو سيد
الدار وحاكمها

وقد ظلت سلام ريكاميه على
ملاقاتها الغرامية بهذا الرجل رغم
نصفه وجبروته وعنفه ، فقد كانت

مذكراته التي طبعت بعد عام من
وفاته ، وكان عنوانها « مذكرات من
العالم الآخر »

وهل كانت سلام ريكاميه مصطفة
هي الأخرى ، في عشقها وحبها ؟

إن كثرة عدد عشاقها يدل على أنها
لم تكن تعرف الإخلاص بمعناه
الصحيح أنها امرأة تزوجت رجلا
في عمر أيها أو يزيد من أجل تراثه
الطائل ، ولم تكن تشعر نحوه
بحب ، ولكنها انحدرت أداة لاهوائها
وأغراضها ، واستخدمت أمواله في
تحقيق أهدافها ، فأنفقت بخفه ،
وافتحت سالونها الأدبي السياسي ،
وهي عادة شائعة في فرنسا وخاصة
في العصور الماضية ، وهذا السالونات
مجدية بلا ريب ، فهي مجمع عظيم
تعمل فيه أفقد المشاكل السياسية ،
ويتبادل مرادوها الرأي في كثير من
المعضلات ، غير أنها مجمع بم
السياسة والرجال في مجملها وأبعد ،
والإنسان هو الأساس في كل زمان
ومكان ، وليس من المقول أن يرى
الشباب الأديب المتكبر العاطفة امرأة
ذات حسن فتار ، ويستطيع أن
يقاوم هذا السحر الطافي

وقد لعب جمال سلام ريكاميه
دورا عظيما في مثل هذه المجتمعات ،
فمسجد الكثيرون تحت أقدامها ،
وحملوا حولها كالفراش ، وراحت
هي لتنتق وتختار من يروق في
نظرها من هؤلاء العشاق ، فاختارت
من أسلفنا ذكرهم واحدا بمسند
واحد ، لتزوي من ماضي الحب



مدام ريكاميه ... يرسم فرانسوا جيرار

والفرام . وقد جمعت مدام ريكاميه بين كل هذا ، الا كلفت لها مكانة عظيمة في عالم الادب والسياسة وفي دنيا المال والفرام . وقد قام بتصويرها لويس دافيسد ، والصور التي رسمها بريشته لهذه السيدة لا تزال موجودة في متحف القوفر ، كذلك قام المصور الفنان فرنسوا جيرار برسمها ، وصورها موجودة في قصر حاكم مقاطعة السين

تحمس انه يجلبها من اعماق قلبه ، وانه لا يستطيع هجرانها ، وكانت هي من تلجتها قد تقدمت بها السن ، وبلغت خريف حياتها ، وان كانت قد ظلت رغم ذلك محتفظة بحسها الوضوح ، وجمالها الساحر ، ولونتها الطفلة العذبة

وفي عام ١٨١٤ دخلت الديور ، وكان شاتوبريان يلزمها ملازمة الطل أينما ذهبت

ولما مرض مرضه الاخسر كانت مدام ريكاميه هي التي بقيت الى جانبه نور عليه ، وتقوم بحملته رغم فقدانها الصبر حتى لفظ انفاسه

الاخسيرة عام ١٨٤٨ ، فتولت هي ، دون كل اصدقائه ومعارفه ، اقامة جنازته ودفنه

وقضت مدام ريكاميه نجيبها بعد عام واحد من وفاته ، الا انها ماتت عام ١٨٤٩

وقد جرت العادة في تلك المصور ان يقبل فنون الرسامين على رسم النساء العائيات ذوات الشهرة والمكانة سواء في عالم الادب أو السياسة أو الفن والنثر أو الحب



السيد فتحي رضوان



السيد صلاح الدين السلجوقي

معجم ابليس

تأليف الأستاذ فتحي رضوان

تقد وتحميل للسيد صلاح الدين السلجوقي

سجل المؤلفات في الجمهورية العربية المتحدة

الاساسي للامر والانتقاد ، والتي
أخلت الرومان من يد غريزة الامومة
التي كانت الداعية الى العطف
والحنان والتي تمثلت في « حالة »
سيده البيت
فمن غريزة الابوة : الامر والانتقاد
أعني « الحكم » . ومن غريزة الامومة ،
أعني اللطف والحنان ، ولدت النظم
الاجتماعية الانسابية التي تفسر
بجناحين : جناح الحكم القوي ،

انها قصة من طراز « فاوست »
للغليسون الخالد « غوته »
ولكنها مجازية Allegorical ، وهي
تمثل حياة الفن من الهدى الى اللحد
فالفن هو العنسة الاولى لحياة
الشعور ، والرائد الاول الى
المتناهي ، ومعهد السبيل الى
التكامل
ان « السيد في المسرحية » عبارة
عن غريزة الابوة التي هي الحجر

جبل يستخدم في الحرب لقتلها لا
مناس منه . حتى لأعقل الناس «
فمن هذه المدينة الفاضلة . ومن
الغريزة الجنسية ، ولد الفن . فالفن
من جهة أمه ، أول زهرة انبتت في
ربيع شعور الإنسان حينما صار
إنسانا . وهو من جهة أبيه كصعيد
وتسام لغريزة الجنسية التي تمثل
الشیطان أحياء . ولنا ثلاث غرائز
أورثت لنا العلوم والفنون ، غريزة
الجنس تسلمت إلى الفنون النفسية ،
كعالم غريزة جلب التمتع صعدت إلى
العلوم الاستقرائية ، وكذلك تسلمت
غريزة دفع الضرر إلى فنون الحرب

وجناح الذل من الرحمة والعطف ،
وهي (أعني التنظيم الاجتماعية)
تتمثل في « عصماء » التي كانت
تتلطف وتعتف وتحنن ، والتي تقود
إلى المدينة الفاضلة الأمانة الوادعة
التي لا حركة فيها ولا نهوض
لقد كان هناك ميسر احتياج
إلى محرك يقود المدينة النبيلة
الشريفة إلى الإمام . فجاء الشيطان
ممثلًا في غريزة الجنس . فالغريزة
الجنسية ، بطبيعة حالها ، موهبة
من مواهب الله تعالى . أنها ينبوع
الحب الذي هو « ولي الله » . ولكنها
تكون في بعض الأحيان وكرا للشيطان

في إحدى المقالات التي جرت بين السيد صلاح الدين
السجواني سفير افغانستان بالجمهورية العربية المتحدة ،
وبين سيادة الاستاذ فتحي روضان وزير الإرشاد القومي ،
للبحث في تقوية الروابط الثقافية والفنية بين افغانستان
والجمهورية العربية المتحدة لعهد السيد الوزير إلى
السيد السفير نسخة من مسرحيته الشائعة : « دموع
إيليس » ، وقد طلع السيد السفير هذه المسرحية بالمرارة
وبعث إلى مجلة « الهلال » بالتعليق التالي عليها :

وتأريخ المآثرات
يقول شاعرنا : « يقولون إن في
الشعر المجد يستوطن الشيطان ،
ولكنك يا شعر حبيبتي ، أنك أنت
الشيطان بنفسه » . ويقول أرسطو
صدد المقارنتين الحب والغضب أن في
الحب لغا ودورانا وكتمان أكثر من
الغضب . ففي الحب مكر وحيلة
وخديعة وتضليل (أو تدليس)
ويشهد أرسطو يقول « هوميروس »
أن حزام الحب للفتاة القيرصية
(أعني الزهرة VENUS) هو وحق (وهو

وفي مسرحية « دموع إيليس » ،
تقول « عصماء » للشيطان أن ابنك
الذي هو الآن جنين في أحشائي .
سيكون محقوقا من كيد الشياطين
ولا يمكن لك ولا لجنتك أن تؤسر
فيه . ونعم القول قولها . . . وهانذا
أشرح ما تقول
يقول مقراط أن الحقيقة المطلقة
ثلاثة مظاهر ، هي الحق والخير
والجميل . فالحق الذي يقابل الباطل
وهو موضوع علم المنطق ، ويركز

العقل، يمكن للشيطان أن يوسوس فيه

والخير الذي يقاومه الشر، وهو موضوع علم الأخلاق، ويفهمه الشعور الذي نسميه التمييز يمكن للشيطان أيضا أن يلقى التردد والشك في كون السلوك خيرا أو شرا. ولكن الجميل الذي هو موضوع علم الجمال يستند أصلا على التخيل، ويدرك بالشعور الذي يسميه العلامة شغفيري «حسا» وليس للشيطان سبيل إلى التخيل، ولا إلى الحس، ولا إلى المشاهدة، ولو كان له - أي الشيطان - مرق حريق في كل واحدة منها

فالفن لن يكون مجالا للحق أو الباطل، للخير أو الشر. وليس للشيطان مجال كي يدس أنفه فيه. نعم أن الفن تدخل فيه شائبة من «الساديزم» الذي يتمثل في هذه المسرحية إلى حد قليل في «ساهر»، كما يصيبه من من «المايوكوم» الذي يرى شيء سيئ يتعلق «أم السعد»

و«ساهر» يلعب في المسرحية دورا هاما لأنه يمثل «الحياة» في الحب وفي الفن. يقول أرسطو أن الفن والجمال ينبغي أن يكونا معاينين بالنسبة للفريزة الجنسية لأن الفن بطبيعة حاله هو متعبد وتسام لهذه الفريزة، ولا ينبغي أن يتفكر إلى الوراء. فالحياد الجمال ولجمال الفن هو الحجر الأساسي كما قرر أرسطو وكما أبداه «بامجارتن» و«ونكلمان» الذي أطلق على علم الجمال اسم «Aesthetics» «إيستكس»

فالفن الذي ولد من الفريزة الجنسية التي فيها نزعة من الشيطان، يمكن أن نسمي ابن الشيطان. ولكنه بعدما ولد، ألقى في المهد، وعند تهذيب. وسلك وتمسك. وهناك صار الركن اليماني للكعبة العبادية، والتناجي والابتهاال إلى الله، فليس بعيدا في هذه الحالة أن نسميه الناسك

نعم.. أن الإنسان أول من اتصل بربه، عبده وناجاه وناداه عن طريق الفن. فالشعر والموسيقى والرقص والبناء والهياكل كلها كانت من وسائل العبادة. فالزماير والشعر وسائر شعب الفن كانت لها إشارات غامضة إلى الحق المطلق، كما يقول «غوته» وكما يقول جلال الدين الرومي، وكانت لها إشارات واضحة إلى الخير والجمال: الخير للبشر كافة، وحتى كما يقول أفلاطون، لجميع الكائنات أن الجمال بسيط جناحيه على الأفاق، فليس هناك شيء قبيح في العالم. هم لاهر ولا قبح حقيقيان لا في الكون ولا في الفن، ولا في نظر الفنان الحقيقي

لقد كان الشر قبل الإسلام وعند التنوين شرا وثنا مساويا للخير. وكان هناك شر بالذات. كما كان هناك خير بالذات. و«أهريمن» عند زرادشت الثنوي، كان متعادلا بالقوة مع «يزدان». ولكن عندما جاء الإسلام بمبدأ التوحيد، صار الخير خيرا بالذات، والشر شرا بالعرض. فالشيطان أو «أهريمن» ليس شرا بالذات، لأن للشيطان قبل أن يعصى ربه كان معلما للملكوت، ولكن عندما

وضع نفسه في غير موضعه صار شرا . فمثلا النار في موضعها في الموقد تكون خيرا ، ولكن في غير موضعها ، في الموقد تكون شرا

و«حواء» حينما حاولت أن تفري الفن ، أو ابن الشيطان ، لم يكن أغراضها مجديا لأنها كما قلت وكما قالت «معماء» - أن الشيطان لا يستطيع أن يتدخل في التخيل أو الحس ، بل بالعكس ، لقد استسلمت حواء على يد الناصح وهذا مطابق لما يروى من النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال : «أسلم شيطاني على يدي»

وفي مسرحية «دموع ابليس» عندما حاول «السيد» أن يشرح الواقع للفن أو ابن الشيطان ، فمعنى ذلك أن هناك كانت محاولة للدخول الواقعية في الفن . ولكن لما لم يكن من الطبيعي أن يكون للفن واقعا ، فإنه لم يستطع أن يفعل ذلك . فالفن ليس واقعا كما زعم البعض ، بل هو مثالي . وليس هو بتقليد الطبيعة ، كما زعم أرسطو ، بل الفن هو نقد للحياة ، ومحاولة خلق عالم أكثر ملاءمة للفنان ، بل وللأجيال المقبلة

أن الإنسان ، كما يقول شوبنهاور حيوان ميتافيزيقي ، نبشت فكرة الميتافيزيقية من صميم حياته وشعوره . وأول حلقة وصل وجدت بين الإنسان وبين تخيلاته السماوية ، كانت الفن الذي بنى العبد ، وتناجى مع الرب ، وتواصى مع الناس بالخير . وكان الفن حلقة محفوفة ، وأرضا حراما آمنة لا رفث فيها ، ولا فسوق

ولا جدل

وما كان للشيطان أن يدمس فيها أو يوسوس . كان الجمال محرابه ، والحب صلاته ، والطهرشوءه . وما من شيطان ولا شيطانة تسربا إليه إلا وأمنأ به . فما أخره الشيطان ، ولا «الساديزم» ، ولا «الماسوكيزم» ولا الواقعية ، وكان يعيش فتيان رفوع الرأس ، يدعو إلى الرشد والهدى . ولكن الذي أوقع وغتت به ، وختم على حياته ، كان الذهب . ذهب التجارة الذي قتل الفن في هوليرود وهنا وهناك وفي كل مكان . لأن مال التجارة يخرج من معامل بلاد ترقب السوق ويبقى الثمن بأي لمن . ولكن الفن ينزل من معالم سيمائه مخلوق الوعى وتجذب الحد والكرامة . وشتان بين التجارة والفن

وكذلك اشترى الفن بثمن بخس بدراهم محدودة

وهكذا كانت حياة الفن من الهدى إلى العبد ، مشبل ما يقولون أن الموسيقى ولدت في إيطاليا ، وحينما راجت إلى ألمانيا تثقت واكتملت ، وبعدئذ سافرت إلى إنجلترا حيث مرشت ولما وصلت إلى أمريكا ماتت هناك

«دموع ابليس» تتبع من خبته في املة . . لقد كان يأمل أن يتخذ من الفريزة الجنسية والفن عشا يبيض فيه ويقس . . ولكن عندما رأى أن هذا العش يسمو عن متناوله ويحاول أن يأخذ مكانه في أقمسان سدره المنتهى : يشس ويحاول أن يخرّب هذا العش ويقضى على الأفراخ وأن يبكى من الأسى والحزن